كوكتيل 2000

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

روايات مصرية

د. نبيل فاروق

51

Looloo
www.looloolibrary.com

صدمة

(وقصص أخرى)

عدد خاص

- مع القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- *إلى الحضارة ..*
- *إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..*

حلم ثلاثة عقود

يأتى هذا العدد ، من كوكتيل 2000 ، متواكبًا ، مع ذكرى ثلاثة عقود ، على طرح الإصدارات الأولى ، لروايات مصرية للجيب ...

ويالها من ذكرى !!...

البداية كانت عام 1984م ، عندما ظهرت إعلانات غامضة فى الصحف ، تحمل عناوين الإصدارات الأولى ...

رجل المستحيل ــ ملف المستقبل ــ المكتب رقم 19 ...

كثيرون طالعوا الإعلانات ، التى لم تحو أية تفاصيل أو معلومات فى البداية ...

فقط أسماء الإصدارات ...

وبينما كنت أطالع الإعلانات (وكنت فى نهاية العشرينات من العمر) كنت أمتلئ بالسعادة؛ ليس فقط لأننى واحد من القلائل ، الذين يعرفون ماهية العناوين ، وإنما الأهم لأننى صاحب سلسلتين ، من السلاسل الثلاث ، المعلن عنها ...

وبعد أسبوع تقريبًا ، بدأت معلومة جديدة تتسلَّل إلى الإعلانات ...

معلومة تقول : إن رجل المستحيل فى الأول من كل شهر ، وملف المستقبل فى العاشر من الشهر ، والمكتب رقم 19 فى العشرين من الشهر ...

Looloo
www.looloolibrary.com

كان الموسم الدراسى فى نهايته ، عندما ظهر شريط الإعلانات الورقية ، الذى حوى الأغلفة الأولى الملوّنة ، للسلاسل الثلاث ...

وفى سعادة ، كنت أحتفظ بكل ما تصدره المؤسسة من نشرات ، وكل ما ينشر فى الصحف من إعلانات ...

وتم طرح السلاسل الثلاثة ، فى المكتبات فقط ، مع بدايات صيف 1984م ، ولم يتم تداولها على النحو المنتظر ، وإنما كان أصحاب المكتبات حذرين فى طلبها ، قلقين من عدم نجاحها ...

وحتى معرض كتاب 1985م ، لم تكن مبيعات الروايات قد استقرت بعد ، ولم يكن الإقبال عليها مرضيًا ...

ولأننى كنت أيامها غزير الإنتاج ، إلى حد كبير ؛ لأن كل ما أختزن فى عقلى من أفكار ، وجد طريقه للظهور العلنى ، فقد أنتجت عشرات العناوين ، قبل حتى طرح العدد الأوّل فى الأسواق ، ومع قلة المبيعات ، قررت التوقف مؤقتًا ، ولكن الأستاذ (حمدى) ــ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ــ لم يوافق على الفكرة ، وطلب منى مواصلة الإنتاج بنفس الغزارة ، وألا أشغل نفسى بالتوزيع والمبيعات ؛ لأنها مسألة وقت فحسب ...

وواصلت الإنتاج ، ولكن صيف 1985م مرَّ أيضًا دون مبيعات مشجعة ...

وراودنى إحساس بأن هذه الروايات لن يكتب لها النجاح ، وسافرت مع أسرتى إلى المعمورة (لم يكن هناك عمران فى الساحل الشمالى بعد) ؛ لقضاء ما تبقى من أيام الصيف ، و ...

وكانت المفاجأة هناك ...

الروايات منتشرة على نحو كبير ، عند كل باعة الصحف فى المعمورة ، وسيدى بشر ، ومحطة الرمل ، والإقبال عليها فاق أكبر أمنياتى ...

وعدت إلى القاهرة ، ليستقبلنى أستاذى الأستاذ (حمدى) بابتسامة كبيرة ، وكأنه يقول لى : « ألم أقل لك ؟ » ...

فى ذلك اليوم ، من صيف 1985م ، كنا فرحين بنجاح الروايات وانتشارها ، وقال الأستاذ (حمدى) ما لم أنسه أبدًا ، وما زلت أذكره حتى الآن ...

قال إنه (رحمه الله) : يحلم بأن تصل روايات مصرية للجيب إلى مائة عنوان ...

مائة عنوان فقط ، كانت منتهى الحلم عندئذ ، منذ ثلاثة عقود !!! ...

ولكنه كان حلمًا اقتصر على ثلاث سلاسل ، كانت كل إصدارات روايات مصرية للجيب فى ذلك الحين ...

ولكن النجاح تواصل ، وانتقل عام 1987م إلى كل أنحاء الوطن العربى ؛ ليحقق فى كل دولة عربية نجاحًا مماثلاً ، مما شجَّع على صدور كوكتيل 2000 ، وفلاش ، وزووم ، وفارس الأندلس ، إلى جوار سلاسل أخرى ، مثل أدبيات ، وإسلاميات ، ومجموعتى كتاكيتو وسندباد للأطفال ، وسلسلة زهور ، ذات الطابع الخاص ...

وتجاوزت العناوين المائة ، فى أقل من سبع سنوات ، ثم سرعان ما تسارع إيقاعها ، مع زيادة عدد المؤلفين وغزارة إنتاجهم ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وكان الأستاذ (حمدى) يولى الروايات عناية خاصة ، ويفخر بها ، كأنها أحد أبنائه ، وكانت جلساتنا دومًا للبحث عن فكرة سلسلة جديدة ، عندما ظهر الموهوب الدكتور أحمد خالد توفيق ...

كان قد أرسل روايتين متوسطتى الحجم ، تم عرضهما علىَّ ، باعتبارى كنت أرأس لجنة النشر فى ذلك الحين ، ورأيت فيهما موهبة متفجِّرة ، وأسلوبًا منفردًا ، جعلنى أحملهما إلى الأستاذ (حمدى) ، بدلاً من الاكتفاء بإرسال التقرير إلى سيادته فحسب ...

يومها جلسنا نناقش الأمر لأكثر من ساعة ، وكانت وجهة نظرى أن أحمد خالد أديب موهوب ، إما أن نضمه إلى فريقنا ، أو سيذهب إلى مؤسسة أخرى ، ويصبح أخطر منافسينا فيمت بعد ...

وانضم الدكتور أحمد إلى روايات مصرية للجيب ؛ لتتزايد الإصدارات وقوتها وجودتها ، ويتسع انتشارها ، مع اتساع عدد محبيها ، حتى صار جناح المؤسسة هو أحـد العوامل الجاذبة إلى معرض الكتاب السنوى ، وخاصة بين فئة الشباب ...

ومن حسن الطالع ، أنه قبل وفاة الأستاذ العظيم (حمدى مصطفى) ، كانت إصدارات روايات مصرية للجيب ، قد تجاوزت الألف وخمسمائة عنوان ، وصارت أشهر عنوان ثقافى (غير حكومى) ، فى العالم العربى كله ...

تحقَّق الحلم ، وكبر أكبر من الحالمين ...

حلم بدأه أستاذنا الراحل العظيم (حمدى مصطفى) ، وكنا كلنا جنودًا فى جيشه الثقافى ، الذى غزا عقول شباب العالم العربى كله من المحيط إلى الخليج ، وحقّق نجاحًا لم يحققه مشروع ثقافى خاص من قبل ...

واليوم ، وبعد أكثر من ثلاثة عقـود ، ما زال لروايات مصرية للجيب بريقها ، وما زالت تنعم بنجاحها ، بإذن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه ...

فتهنئة لروايات مصرية للجيب ، التى أرجو أن تستعيد اسمها بالكامل ، مهما بلغ حجمها ، باعتباره علامة تجارية ، وليس إشارة إلى حجم مطبوعاتها ...

ودعاء إلى مؤسس مشروع القرن الثقافى ، كما وصفه بنفسه ...

دعاء إلى صاحب ثلاثة عقود من النجاح ...

إلى الأستاذ ...

صاحب الحلم ...

أجمل حلم .

د. نبيل فاروق

Looloo
www.looloolibrary.com

بطـولة لا تنسوها

(تـاريـخ)

أشرق عام على مصر ، وقد بلغت كراهية المصريين للاحتلال الإنجليزى ذروتها ، وخاصة بعد انتصار الحلفاء على دول المحور (ألمانيا واليابان) ، وتراجعها عن وعدها بمنح مصر استقلالها ، عقب الانتصار فى الحرب ...

كان الانتصار قد ملأ إنجلترا بمزيد من الغطرسة والغرور ، الذين كانا المحرّك الأوّل لأكبر بطولة عرفها العالم عن المصريين ، فى تلك الفترة ...

فبمقتضى اتفاقية 1936م ، كان على القوات البريطانية أن تنسحب إلى منطقة القناة ، وألا يكون لها أى تواجد داخل البلاد ... ولأنها ــ أيًّا كان نطاق وجودها ــ هى قوات احتلال ، فقد لجأت الدولة ولجأ الشعب إلى شن هجمات فدائية ، ضد القوات البريطانية ، داخل منطقة القناة ، مما كبّد القوات المحتلة خسائر جمة ، بشرية ومادية ومعنوية ، فى كل يوم تقريبًا ...

كان الفدائيون من كل طبقات الشعب ، وكانت مدن القناة مقسمة فى ذلك الوقت ، وفى (السويس) و(الإسماعيلية) و(بورسعيد) إلى حى أفرنجى للإنجليز ، وحى بلدى للمصريين ، فقام الإنجليز بترحيل سكان الحى البلدى بالإسماعيلية خارج المدينة ، إلا أن هذا لم يوقف هجمات الفدائيين الشرسة ، والتى كانت تتم بالتنسيق مع الشرطة المصرية ، لذا فقد أصدرت قوات الاحتلال قرارًا بخروج كل قوات الشرطة المصرية من

مدن القناة ، اعتبارًا من فجر 25 يناير 1952م ، وعندما توجه رجال الشرطة لمقر عملهم فى ذلك اليوم طالبتهم قوات الاحتلال بإخلاء المبنى خلال خمس دقائق ، أو سيتم اقتحامه واحتلاله بالقوة ، واشترطت أن يتركوا أسلحتهم خلفهم ...

كان أكبر الضباط الموجودين رتبة ، فى ذلك الوقت من الصباح المبكّر ، هو النقيب (مصطفى رفعت) ، وكان الذى يوجه الإنذار إليه هو (أكس هام) قائد القوات الإنجليزية فى الإسماعيلية ، ولكن (مصطفى رفعت) رأى أن فى هذا مساس بالكرامة والسيادة المصرية على أرضها ، وقوات الاحتلال هى الدخيلة ، والعكس ينبغى أن يكون ، فوقف شامخًا ، يقول للقائد الإنجليزى إنه إما أن تنسحب قوات الاحتلال ، أو سيأمر هو بإطلاق النار ؛ لأنه إذا كان هناك من يجب أن يرحل ، فهو المحتل ، وليس صاحب الأرض ...

وعند عودته إلى مبنى المحافظة ، أبلغ (مصطفى رفعت) زميله الملازم أول (عبد المسيح) ورجال الشرطة كلهم بما دار بينه وبين (إكس هام) ، فوافقه الكل على ما قاله ، واجتمعوا على أنهم لن يستسلموا ، وسيدافعون عن المبنى والسيادة المصرية ، حتى آخر قطرة دم ، فى آخر رجل فيهم ، على الرغم من علمهم بعدم التكافؤ بين تسليحهم وتسليح قوات الاحتلال ...

وفى هذا الوقت اتصل وزير الداخلية آنذاك بالنقيب (مصطفى رفعت) ، وأخبره بأنه قد وصلته معلومات عما يحدث ، فأكّد له (مصطفى)

Looloo
www.looloolibrary.com

ما استقر عليه رأى الجميع ، بالقتال حتى آخر رمق ، وأمام موقف رجال الشرطة الوطنى الشامخ ، وافقه الوزير على هذا ...

وفور خروج (مصطفى رفعت) من غرفة السويتش ، أصابت قذيفة دبابة الغرفة ، واستشهد عامل السويتش ... وبدأت المعركة ...

كانت معركة شرسة ، بين قوات تملك تسليح جيش ، ورجال شرطة يملكون أسلحتهم الخفيفة ، ووطنيتهم ، وإيمانهم بواجبهم ، وبالله سبحانه وتعالى ...

وسقط العديد من الشهداء ، وأصيب آخرون ، ومع الدماء والإصابات والشهداء ، خرج النقيب (مصطفى رفعت) من المبنى ، فتوقّف إطلاق النيران ، وتصوّر (إكس هام) أنه سيعلن الاستسلام ، إلا أنه فوجئ به يطلب سيارات إسعاف؛ لنقل المصابين والجرحى ، فرفض القائد الإنجليزى هذا تمامًا ، وأصرّ على خروج المصابين مستسلمين ؛ لكى يتم نقلهم للعلاج ، إلا أن (مصطفى) رفض فكرة الاستسلام تمامًا ، وعاد إلى المبنى ، ووافقه كل من تبقى من رجال الشرطة ، لتستمر الاشتباكات ويستمر سقوط الشهداء والجرحى والمصابين ، وقرأ الجميع الفاتحة على الاستمرار حتى النهاية ، وشاركهم الملازم (عبد المسيح) قراءة الفاتحة ، وبعدها قرّر (مصطفى رفعت) الخروج لقتل (إكس هام) ، عندما فاضت به مشاعره ... وعندما خرج من المبنى توقف لإطلاق النيران كالمعتاد ، وفوجئ (مصطفى) بضابط انجليزى أكبر رتبة ، يؤدّى له التحية العسكرية ، فبادله التحية ، وفقًا للأصول العسكرية ، وكان ذلك الضابط هو الجنرال (ماتيوس) ، قائد القوات البريطانية فى منطقة القنال بالكامل ،

وقد أخبر (مصطفى) أن دفاع رجال الشرطة عن المبنى ، مع عدم تكافؤ التسليح ، هو بطولة لم يشهد مثلها فى عمره كله ، حتى خلال الحرب العالمية الثانية ، وأنهم يستحقون استسلامًا مشرفًا ، مثلما دافعوا عن سيادتهم بشرف ، فاشترط (مصطفى رفعت) أن يخرج الجنود من المبنى دون رفع أيديهم فوق رءوسهم ، وأن يعاملوا باحترام كجنود أدّوا واجبهم ، وليس كأسرى يستسلمون ، وأن يتم نقل المصابين فورًا إلى حيث يتم إسعافهم ، وكان له ما أراد ، وكتب (ماتيوس) فى مذكراته فيما بعد ، أن بطولة الشرطة المصرية فى ذلك اليوم فاقت كل البطولات التى تحملها حتى الروايات الخيالية ، وأن (إنجلترا) ستحمل عار ما فعلته معهم إلى الأبد ...

ولقد استشهد من أفراد الشرطة فى ذلك اليوم ما لا يقل عن ثمانين جنديًا ، وأصيب مائة وعشرون آخرون ، وتم اعتبار هذا اليوم التاريخى عيدًا للشرطة ، وعيدًا قوميًا لمحافظة (الإسماعيلية) أيضًا ...

بطولة لا ينبغى أن ننساها ؛ لأن الزمن يمضى والأيام تتغيّر ولكن البطولة تبقى ولا تموت ...

أبدًا .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

كوكتيل 2000

عدد خاص بمناسبة

العيد الثلاثين

لروايات مصرية للجيب

الستار الأسود

(سلسلة داخل سلسلة)

4

Looloo
www.looloolibrary.com

1 ـ مجنـــون ..

عجيب هو هذا الرجل ...

أعوام طويلة التقى به ، فى جلسات العلاج ، وما زال يحيا حالة الوهم ، التى تصور له أنه ليس مريضًا ...

هنـا فى مستشفى الأمراض النفسـية والعصبية ، هـذا ليس بالأمـر العجيب ...

الكل يتصوَّر نفسه شخصًا آخر ، بخلاف هويته الحقيقية ...

فى عنبر ثلاثة ، رجل يصر على أنه الرئيس ...

وفى عنبر خمسة ، لدينا نابليون بونابرت ...

وهناك خالد بن الوليد ...

وصلاح الدين الأيوبى ...

وحتى سفاح (كرموز) ...

ولكن هذا الرجل بالذات يختلف ...

يختلف كثيرًا ...

« كيف حالك اليوم ؟!... »

ألقى علىّ السؤال ، وهو يبتسم ابتسامة هادئة ، جعلتنى أدرك أنه ما زال داخل حالة التقمص ، فأجبته فى مودة :

ـ فى خير حال ... وأنت ؟!

أشار بيده إشارة مبهمة ، واسترخى فى مقعده :

ـ أنا أفضل ... استطعت تقبل وفاة زوجتى ، وأتعامل مع ابنى وابنتى على نحو طبيعى ،

« مسكين هو ... »

صدمة مقتل زوجته زلزلت كيانه ...

إنه يتظاهر بالتماسك ، ولكننى أعلم أنه منهار داخليًا ...

أخشى ما أخشاه أن ينهار احتماله فجأة ، فيتحول إلى حالة العنف ...

لو حدث هذا ، سأضطر إلى نقله إلى عنبر الخطرين ...

أو إرساله إلى حيث يحصل على صدمة كهربية ...

فى بعض الأحيان يفلح هذا ...

فى بعض الأحيان فحسب ...

« القضية تم قيدها ضد مجهول ... »

قالها ، وهو ما زال يحاول الاسترخاء فى مقعده ...

« هل ضايقك هذا ؟! ... »

سألته فى حذر ، فلوَّح بذراعه كلها ، مغمغمًا :

ـ وماذا بيدى لأفعله ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

لم تعجبنى إجابته ، ولا الطريقة اللامبالية ، التى نطقها بها ، فملت نحوه ، أسأله :

ـ أين كنت ، عندما قتلت زوجتك ؟!

صمت بضع لحظات :

ـ كنت أقضى السهرة مع بعض الأصدقاء .

سألته ، وأنا أتفحّص وجهه جيدًا :

ـ وهل يمكنهم الشهادة بهذا ؟!

تطلّع إلىّ لحظات ، ثم اعتدل فى مقعده :

ـ بالتأكيد .

من الواضح أنه يخفى شيئًا ، ولهذا سألته :

ـ كيف لقت زوجتك مصرعها ؟!

عاد يتطلّع إلىّ لحظات ، قبل أن يجيب ، فى توتر ملحوظ :

ـ لقد أخبرتك من قبل .

تمسّكت بالهدوء ، وأنا أسأله :

ـ هل يضيرك أن تخبرنى مرة أخرى ؟!

بدا مترددًا ، فقلت أستحثه :

ـ مع تفاصيل أكثر هذه المرة .

لم يبد مرتاحًا ، وهو يفكّر طويلاً ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

ـ تعلم أن سارقًا فاجأها وحدها .

قلت أستحثه :

ـ ثم ؟!

بدا عصبيًا ، وهو يجيب :

ـ ثم طعنها ست عشرة طعنة .

تراجعت فى مقعدى :

ـ كان لديه الوقت الكافى إذن ؟!

مطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يجيب :

ـ لست أعتقد هذا .

ويبدو أن لهجتى كانت قاسية بعض الشىء ، أو أنها حملت نبرة عدوانية ، وأنا أقول :

ـ قلت إنها ست عشرة طلقة .

زفر زفرة متوترة ، وهزّ رأسه ، وهو ينهض قائلاً :

ـ يبدو أن فكرة علاج الحوار الودى المتبادل ، لم تكن مناسبة هذه المرة .

أشرت إليه بمعاودة الجلوس :

ـ بل أراها فكرة رائعة .

تردّد بضع لحظات ، ثم عاود الجلوس ، وهو يتمتم فى عصبية :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ دعنا لا نتحدَّث عن حالة زوجتى إذن .

وافقته بإيماءة من رأسى ، على الرغم من الفضول الذى يلتهمنى ؛ لمعرفة صلته بمصرع زوجته ...

إنه يخفى شيئًا ...

حتماً يخفى شيئًا ...

« ماذا عنك أنت ؟!... »

ألقى سؤاله علىَّ فى اهتمام ، فهززت كتفىَّ ، مجيبًا :

ـ ماذا عنى ؟!

سأل فى شبه لهفة :

ـ هل أنت متزوِّج ؟!

فكَّرت لحظات ، قبل أن أجيب :

ـ لست أظن هذا .

تراجع فى مقعده ، وهو يسأل دون دهشة :

ـ تظن ؟!

أشرت بيدى مجيبًا :

ـ لقد فرَّت مع طفلى منذ زمن .

سألنى :

ـ وهل طلقتها بعد فرارها ؟!

صمت لحظة مفكرًا ، ثم هززت رأسى فى بطء :

ـ كلا .

لم ترق لى ابتسامته ، وهو يقول :

ـ هى ما زالت زوجتك إذن .

ضايقتنى العبارة ، فأشحت بوجهى فى توتر :

ـ من الناحية النظرية ... نعم .

سألنى فى اهتمام :

ـ وابنك ... هل رأيته بعدها ؟!

بدأت أشعر بالضيق لأسئلته ، إلا أننى أجبت ، فى شىء من الغلظة :

ـ كلا ...

لمحت شبح ابتسامة على شفتيه ، وهو يقول :

ـ ضايقك هذا كثيرًا ... أليس كذلك ؟!

أجبت دون مواربة :

ـ نعم .

قلتها فى حدة واضحة ، فتراجع فى مقعده ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يبتسم ابتسامة زائفة ، قائلاً :

ـ يبدو أن جلسات الأحاديث الودية هذه مجدية .

غمغمت بغير حماس :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أعتقد هذا .

راجعت فى ذهنى ما أعرفه عن جلسات العلاج الودية ...

المريض يجلس مع الطبيب ، وكأنهما صديقان التقيا فى مقهى ...

يتحدثان ...

يتجادلان ...

أو حتى يتشاجران ...

وعلى الطبيب أن يكون يقظًا واعيًا ، لكل فعل أو كلمة ...

هذا لأنه يقوم بتحليل المريض ، من خلال هذه الجلسات ...

وعلاجه أيضًا ...

المهم أن يسأل دومًا السؤال المناسب ...

وفى الوقت المناسب ...

« هل أحببت طفولتك ؟!... »

ألقيت عليه السؤال بغتة ، فبدت عليه الدهشة لحظة ، قبل أن يشرد ببصره ، وكأنه يستعيد ذكرى قديمة :

ـ أبى كان قاسيًا بعض الشىء .

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا عن أمك ؟!

بدا من الواضح أن الذكريات تؤلمه هذه المرة ، وهو يغمغم :

ـ لقد تركتنا وأنا فى الثانية .

سألته :

ـ ماتت .

حاول أن يبتسم ابتسامة مضطربة ، وهو يهز رأسه ، قبل أن يجيب ، فى مرارة لم يستطع حجبها :

ـ طلقها أبى ، وتزوَّجت من رجل آخر .

سألته ، وقد تضاعف اهتمامى :

ـ وهل رأيتها منذ ذلك الحين ؟!

زفر فى مرارة ، قبل أن يغمغم :

ـ مرتين فحسب .

لقد أصبت الهدف ...

إنه يكره أمه ...

هذا ما دفعه إلى قتل زوجته ...

جلسات العلاج الودية هذه مدهشة بحق ...

لقد توصلت بوساطتها إلى الحقيقة ، التى عجز الكل عن كشفها .

« دعنا نتحدَّث عنك قليلاً ... »

قالها فى توتر ، وكأنه يسعى للفرار من حصار أسئلتى ، فاعتدلت قائلاً :

ـ سل ما بدا لك .

Looloo
www.looloolibrary.com

مسح شعره بيده ، وهو يسأل :

ـ متى عرفت أين تقيم زوجتك ؟!

ندت منى حركة عصبية مع سؤاله ، وقلت فى حدة :

ـ وماذا يعنيك من هذا ؟!

ابتسم وهو يهز كتفيه ، مجيبًا :

ـ أنت سألتنى أسئلة شخصية ، وأجبت .

كان على حق ، مما جعلنى أبتلع توترى ، قائلاً :

ـ علمت منذ ستة أسابيع تقريبًا .

قال فى هدوء :

ـ وذهبت لزيارتها ؟!

قلت فى عصبية :

ـ كان يجب أن أرى ابنى .

بدا أكثر هدوءًا ، وهو يقول :

ـ ولكنها رفضت أن تريك إياه .

هتفت فى حدة :

ـ تلك الحقيرة ... إنه ابنى أيضًا ، وليس ابنها وحدها .

تنهَّد ، وقال فى حسم :

ـ لهذا طعنتها حتى الموت ؟!

اتسعت عيناى عن آخرهما .

طعنتها ؟!...

من قال هذا ؟!..

من ؟!...

« انتهت الجلسة ... أعيدوه إلى عنبره الانفرادى ... »

قالها ، ونهض لينصرف ، وجاء اثنان من الممرضين الأقوياء ، كما يحدث فى كل مرة ...

كم سئمت هذا وكرهته ...

إنه ، وهم جميعًا يصرون على أننى المريض ، وأنه هو الطبيب ...

ولقد تجاهلونى تمامًا ، وأنا أحاول أن أنبههم إلى خطئهم ، بينما يجرونني جرًّا إلى العنبر الذى أقيم فيه ...

عنبر المجانين ...

الخطرين .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2 ـ حلم ..

هذا حلم ...

حتمًا إنه حلم ...

ففى عالم الأحلام ، تختل كل موازين الكون ، وقوانين الفيزياء ...

فى الحلم يمكنك أن تطير ...

وأن تسير على الماء ...

يمكنك أن تكون إمبراطورًا ...

أو حتى عبدًا ...

وعلى خلاف الواقع ، كل شىء ممكن ، فى عالم الأحلام ...

وما أمر به حتمًا حلم ...

أنا أسير فى طريق طويل ...

طويل ...

طويل بلا نهاية ...

الشمس فوق رأسى تشرق قوية ...

ولكن الظلام يسود ...

ظلام عجيب ، لا يتناسب إطلاقًا ، مع قرص الشمس فوق الرءوس ...

وهناك آخرون ...

أشعر بهم ، ولكننى لا أراهم ...

أسمع خطواتهم ...

أرصد أنينهم ...

أشعر بأنفاسهم ...

يسيرون من حولى ...

أمامى وخلفى ...

إلى يمينى ويسارى ...

وأنا وسطهم أسير ...

ترى هل نتجه جميعًا لهدف واحد ؟..!

وما هو ؟..!

أهو حقًا حلم ؟!

كل شىء من حولى يقول إنه كذلك ..

ضوء الشمس ، مع الظلام الدامس ، لا يقترنان إلا فى حلم ...

أو فى عالم آخر ...

رباه !!... أهذا ممكن ؟..!

أأنا أذكر حتى كيف كانت البداية ...

لقد تشاجرت مع زوجتى ، وخرجت لأدخن سيجارة فى الحديقة ...

لم تكن سيجارة عادية ...

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت سيجارة مخدرة ...

كنت أدخنها فى سرعة وعصبية ، عندما سطع ذلك الشىء ...

وبعدها لا أذكر شيئًا ...

كل ما أعيه ، هو أننى وجدت نفسى هنا ...

فى هذا العالم العجيب ...

أهو أمر مما يحدث فى أفلام الخيال العلمى ؟..!

هل اختطفنى شىء ؟..!

مخلوقات من عالم آخر مثلاً ؟..!

أهذا هو عالمهم ، الذى ينقلون إليه من يختطفونهم من عالمنا ؟..!

ولو افترضنا هذا ، فما الذى سيفعلونه بنا جميعًا ؟!

هل سيشرحون أجسادنا ؛ لمعرفة تركيبنا ؟!

أم سيحتفظون بنا فى أقفاص ؟!..

أم فى صناديق زجاجية ...

أم أن هذ مجرّد خيال جامح مريض ...

إنه حلم ...

حتمًا هو حلم ...

لقد لاحت بقعة ضوء ، فى نهاية ذلك الممر الطويل ...

بقعة صغيرة ، ولكنها حملت الأمل ...

هناك إذن مخرج ما من هذا ...

مخرج لى ...

ولهم ...

لكل تلك الأجساد ، التى انعكس عليها شريط الضوء الضئيل ، فبدأت أتبين ملامحها ...

رباه !... إنها ليست بشرية ...

أو ليست ذات ملامح ...

مجرّد ظلال بلا تفاصيل ...

بلا وجوه ...

إنهم أشبه برسم كروكى لجسد بشرى ...

ماذا هم ؟!..

أشباح ؟..!

أرواح ؟..!

جن ؟!..

كائنات أخرى ؟..!

ماذا هم ؟!..

لم يلتفت إلىَّ أحدهم ، وكلنا نسير نحو بقعة الضوء ، وكأننا مغيبون ...

أو مسيرون ...

Looloo
www.looloolibrary.com

حاولت أن أتوقف ...

أن أغير اتجاهى ...

أن أعود أدراجى ...

حاولت ...

وحاولت ...

وحاولت ...

ولكن جسدى لم يستجب ...

كان وكأنه جسد شخص آخر ...

رفعت يدى إلى وجهى ؛ للتيقن من أنها يدى ...

وحدّقت فيها فى ذهول ...

أشعر تمامًا أننى رفعتها ...

وأشعر بها أمام وجهى ...

وأنظر إليها ...

ولكنها ليست يدى ...

إنها مثلهم ...

رسم كروكى ليد ...!!

ماذا أصابنى ؟!..

ومتى ؟..!

لا ... إنه حلم ...

أو هى هلوسة ...

نعم ... نعم ... إنها هلوسة ...

تلك السيجارة ، المحشوة بالمخدرات ، هى السبب ...

لقد دخنتها فى سرعة وعصبية ...

وحتمًا انقض دخانها الأزرق على عقلى ، دون سابق إنذار ...

واختل العقل ...

ودخل فى حالة هلوسة ...

نعم ... نعم ... هى حالة هلوسة ...

أراهن أننى الآن نائم فى فراشى ، وشخيرى يزعج زوجتى كالمعتاد ...

أو أننى ملقى فى الحديقة ، وزوجتى الغاضبة لا تدرك هذا ...

هذا هو الأرجح ...

ذلك الوميض كان بداية الغيبوبة ...

غيبوبة المخدر ...

لا ريب فى أن تناوله فى سرعة وعصبية له تأثير ضار ...

ضار جدًا ...

تفسير منطقى ومقنع ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكنه لا يفسر وضوح الرؤية ، بعد أن اقتربنا كلنا من دائرة ضوء مبهر ...

دائرة تبدو وكأنها تنادينا ...

تنادى أعماق أعماق عقولنا ...

تخاطبنا فى هدوء ناعم ...

تدعونا للاقتراب أكثر ...

وأكثر ...

وأكثر ...

وبلا دعوة ، كنا كلنا نتجه إليها ...

مسيّرون ...

مغيبون ...

أهذه هلوسة ؟..!

أم هو حلم ؟..!

أم ... ؟!

ارتجف بدنى كله ، وأنا أفكر فى الاحتمال الأخير ...

احتمال الموت ...

أأنا ميت ؟..!

أهذا هو البرزخ ، الذى يتحدثون عنه ، والذى يفصل الحياة عن الموت ؟..!

أهذا هو ؟..!

يا إلهى !... لم أكن مستعدًّا لهذا ...

لقد أسرفت على نفسى كثيرًا فى حياتى ...

والموت هو آخر ما فكرت فيه ...

لو أننى ميت ، فهذا يعنى أن كل من حولى ليسوا أجسادًا ...

بل أرواح ...

وكلنا نسير نحو النهاية ...

نحو الحساب ...

والثواب ...

والعقاب ...

ارتجفت للفكرة ...

وارتجفت ...

وارتجفت ...

الشمس فوق الرءوس ...

والظلام دامس ...

وبقعة الضوء تكبر وتتعاظم ، وتزدادا تألقًا ...

ونحن نقترب منها ...

Looloo
www.looloolibrary.com

تقترب فى سرعة ...

ومن حولى صاروا يلتصقون بى ، ويدفعوننى نحو الضوء ، وكأنهم يتعجلون الوصول إليه ...

حاولت مقاومتهم ، ولكن عبثًا ...

دفعونى بقوة أكبر ...

وأكبر ...

واقتربت دائرة الضوء ، حتى صرنا على حافتها ...

ونظرت أسفلها ...

وارتعبت ...

كانت هناك حفرة هائلة من النار ...

حفرة رهيبة ...

مخيفة ..

ملتهبة ...

وصرخت حتى لا يدفعوننى نحوها ...

ولكنهم دفعونى ...

وسقطت ... »

هويت نحو حفرة النار الرهيبة ، وأنا أصرخ وأصرخ ...

مستحيل ... إنه ... إنه ...

« حلم ... »

نطقها الطبيب فى أسف ، قبل أن يعتدل مكملاً :

ــ كابوس ، هاجمه خلال نومه ، وأصابه بأزمة قلبية ، أودت بحياته ...

بدت الزوجة ملتاعة مذعورة ، وهى تسأله :

ــ حلم ؟..! أمن الممكن أن يموت المرء بسبب حلم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا :

ــ نعم ... فى أحلامنا نسقط ، ونكاد نهلك ، ولكن عقلنا الباطن يوقظنا فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن نرتطم بالأرض .

سألته منهارة :

ــ ولماذا لم يوقظه ؟!

أجاب فى أسف ، وهو يضع الغطاء على وجه الجثة :

ــ قلت إنك شاهدته يدخن سيجارة مخدرات فى الحديقة ، قبل أن يفقد الوعى ... المخدرات جعلت ردود أفعاله بطيئة ، حتى إن عقله الباطن لم يوقظه فى الوقت المناسب؛ فأكمل سقطته .

غمغمت باكية فى انهيار :

ــ فى الحلم .

وانهمرت دموعها على وجهها غزيرة ، كنهر ينساب ...

فى حلم .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3 ـ دبيب ..

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يترك جسده يسقط على مقعد قريب ، ويلهث على نحو عجيب ...

لقد قتلها ...

قتل زوجته ...

أخيرًا فعلها ...

لقد خطَّط لهذا طويلاً ، منذ قرر أنه لم يعد يحتمل إزعاجها المستمر ، وشجاراتها التى لا تنقطع ...

عام كامل ، وهو يخطط لهذا ...

فى البداية أقنعها بالانتقال ، من الحى الذى يقيمون فيه ، إلى تلك المدينة الجديدة ، على أطراف (القاهرة) ...

وفى منزلهما الجديد ، الذى اختـــاره فى طـــرف المدينة الجديدة ، بدأ الحفر ...

فى حديقة منزلهما الخلفية ، التى تطل على منطقة مهجورة ، صنع حفرة طولها متران ، وعرضها متر ، وعمقها أربعة أمتار ...

وعندما سألته هى عما يفعله ، أقنعها بأنه ينشئ لها حوض سباحة خاص ، وأوصاها ألا تخبر أحدًا ، حتى تصير مفاجأة للكل ...

ولأنها تعشق التباهى ، احتفظت بالأمر سرًا ...

الشىء الوحيد الذى أزعجه ، خلال عملية الحفر هو النمل ...

نمل كبير ضخم ، يملأ التربة فى كل مكان ، وكأنه يستوطن تلك المدينة الجديدة ، من قبل بنائها ...

ولقد حاول كثيرًا التخلص من النمل ، ولدغاته المؤلمة ...

استخدم مبيدات حشرية ، وسوائل حارقة ، وحتى البنزين ، الذى سكبه فى الحفرة ، ثم أشعل فيه النار ...

وكان النمل يختفى فى كل مرة ...

ثم يعاود الظهور بعد أيام قليلة ...

وفى النهاية ســـأم القتال ، وقرَّر فقط أن يكتفى بارتداء زى واق من النمل ...

مهندس الزراعة بالمدينة أخبره أنه نوع من النمل الأبيض ، المقاوم للمبيدات العادية ، ووعده بإحضار مبيد خاص ...

ولكنه لم يفعل ...

وهو لم يسأله ...

لم يرد جذب الانتباه للحفرة ، التى ستستقر فيها زوجته إلى الأبد ...

وطوال ذلك العام ، شكى لكل من يعرفهم من أن زوجته لم تعد تحبه ، وأنه يشك فى علاقتها بآخر ...

وبعد عدة أشهر ، بدأ يشكو من أنها تهدِّد بتركه ، والفرار مع ذلك الآخر ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ومع تكرار القصة ، صدق الناس ..

وتعاطفوا معه ...

وأشفقوا عليه ...

وعندئذ أدرك أن ساعة التنفيذ قد حانت ...

وفى تلك الليلة ، وبينما كانت تعد طعام العشاء ، فاجأها بكيس من النايلون على رأسها ، أمسكه فى إحكام ، وهو يبعد جسده عنها ، متفاديًا أظفارها وركلاتها ، حتى همدت أنفاسها وخمدت ...

كان واثقًا من أنها قد لفظت أنفاسها الأخيرة ، وعلى الرغم من هذا ، ظل يقبض على الكيس فى قوة ، حتى أيقن من استحالة بقائها على قيد الحياة ...

كانت ملامحها داخل الكيس بشعة مقززة ، مع لسانها المتدلى خارج فمها ، وعينيها المتسعتين فى ألم ورعب ...

وبيد مرتجفة ، أفلت الكيس وكوَّمه ، وألقاه فى سلة البقايا ...

ثم جلس يلهث ...

الخطوة الأساسية تمت ...

قتلها ...

وبقيت الخطوة الحتمية ...

دفنها ...

وبعد أن يدفنها فى الحفرة الخلفية ، ويصب القار على جسدها ، ضمانًا لعدم تسرب روائح تحلل جثتها ، سيهيل عليها التراب ، ويستحم جيدًا ، وينتظر حتى يهدأ ، ثم يجرى اتصالاته بالجميع ...

أهلها ...

أقاربها ...

زملاتها ...

أصدقائها ...

سيسأل الكل عنها فى ارتياع ، موحيًا بأنه يبحث عنها كالمجنون ...

ولا بأس من بعض النحيب ...

والدموع ...

والبكاء ...

حتى هذا تدرَّب عليه طويلاً ...

خطته محكمة ، لا تقبل الفشل ...

حتى الحفرة ، ابتاع عدة لفات من حشائش الأرض ، ليفردها فوق ساحة الحديقة الخلفية كلها ، وينثر بها بعض الورود ، بحيث لا يخطر ببال أحد أن يبحث عن جثتها أسفلها ...

كل شىء مخطط بدقة ...

بمنتهى منتهى الدقة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

لم يترك تفصيلة واحدة ، مهما بلغت دقتها ...

ظلَّ جالسًا فى مقعده ، حتى هدأت أنفاسه ، ثم قام ، فأحضر كيسًا ضخمًا ، أعده مسبقًا ...

كيس قوى سميك ...

ولساعة كاملة ، وضع جثة زوجته فى ذلك الكيس ، وأحكم إغلاقه ، بعد أن وضع داخله كمية كبيرة ، من كرات النفتالين ، ضماناً لعدم تسرب الروائح ...

وبعدها جلس يرتاح بعض الوقت ، ويرتب أفكاره ...

ووفقًا للخطة ، خرج يفرد لفات الحشائش على أرض الحديقة الخلفية ، ويوزع الورود والزهور فى الأطراف ، تاركًا موضع الحفرة فقط ...

لابد من أن ينهى كل شىء فى سرعة بعد دفنها ...

وضع وعاء القطران تحت النار ، بالقرب من الحفرة ، وحمل جثة زوجته ، وألقاها فى الحفرة ، وألقى عليها نظرة شامتة أخيرة ...

الآن لم يعد باستطاعتها أن تزعجه ...

ولا أن تتشاجر معه ...

صوتها المرتفع لن يصدِّع رأسه مرة أخرى ...

لقد أخرسها ...

وإلى الأبد ...

شعر بلدغة فى ساقه ، وهو يقف على طرف الحفرة ، ورأى نملة كبيرة ، تسير على ثنية بنطاله ، فنطرها بعيداً فى ازدراء ...

يا لهذا النمل السخيف ...

ليس هذا وقته ...

على الإطلاق ...

لاحظ سربًا منه يسير ، عند طرف الحفرة ، ووانته فكرة سادية ، جعلته يعود إحضار قليل من الكحول ، سكبه على سرب النمل ، ثم أشعله ...

وفى استمتاع ، شاهد النمل يحترق ...

اليوم بالذات لا شىء سينتصر عليه...

لا زوجته ...

ولا النمل ...

احترق النمل عن آخره فى لحظات ، فالتمعت عيناه فى ظفر ، وبدأ فى تسخين القار ، فى ذلك الوعاء الكبير ، حتى سال وصار أشبه ببحيرة سوداء مظلمة ، فأمال الوعاء ، على نحو تدرَّب عليه مسبقًا ، وسكب القار والقطران على جثة زوجته ، حتى غطاها تمامًا ...

وعلى طرف الحفرة ، وقف يشاهد نتيجة عمله فى إعجاب ...

الخطة متقنة بحق ...

الجريمة الكاملة ...

الجريمة التى أدعوا أنها مستحيلة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وعلى الرغم منه ، انفلتت من بين شفتيه ضحكة عالية ...

ضحكة ظافرة ...

واثقة ...

مجلجلة ...

قوية ...

وعند طرف الحفرة ، وبينما ما زال يحمل جاروف الحفر بيسراه ، لوّح بقبضته اليمنى فى الهواء ...

الآن صار حرًا ...

تحرَّر من زوجته ...

من إزعاجها ...

من شجاراتها ...

من السجن الذى وضعته فيه ...

الآن استعاد حريته ، و ...

اختل توازنه فجأة ، عندما انهارت حافة الحفرة تحت قدميه ...

وهوى ...

حاول أن يتشبَّث بشىء ...

أى شىء ...

ولكن فى منتصف حديقة خالية ، لا يوجد ما يتشبَّث به ...

اللهم إلا وعاء القار الساخن ...

وبحركة غريزية ، أمسك به ، ولكن حرارة الوعاء أجبرته أن يفلته ...

واكتمل سقوطه ...

وارتطم بالقار فى القاع ...

وبتناغم عجيب ، سقط جاروف الحفر على رأسه ، وارتطم به فى قوة ، فى نفس اللحظة التى شعر فيها بسخونة شديدة على ساقيه ، و ...

وفقد الوعى ...

لم يدر كم بقى فاقد الوعى ، ولكنها ليست فترة طويلة حتمًا؛ لأن الظلام ما زال يخيم على المنطقة ، والصمت يغلفها تمامًا ...

إنه عارض صغير إذن ...

سيخرج من الحفرة ، ويواصل الخطة ...

ولكن مهلاً ...

إنه عاجز عن تحريك ذراعه اليمنى وساقيه ...

ماذا حدث ؟..!

هل أصيب بشىء ما ؟..!

حاول أن يرفع رأسه ، ويميل ببصره ، ليدرك ماذا حدث ؟!

يا للهول ...!

لقد سقط فوق القار ، الذى لم يجف بعد ، وتشبثه بالوعاء قلبه ، وسكب ما تبقى فيه من قار على ساقيه ...

Looloo
www.looloolibrary.com

لقد التصق بالقار ، الذى سكبه فوق جثة زوجته ...

هذا الجزء لم يكن فى الخطة ...

والاحتمال لم يجل بخاطره قط ...

ولكن ما زال هناك أمل ...

ذراعه اليسرى حرة ...

وكذلك الجاروف ...

إنه يستطيع استخدام حافته ، لتخليص ساقيه وذراعه اليمنى ...

إنها مسألة وقت فحسب ...

خطأ كهذا لن يفسد خطته المحكمة ...

ولكن ما هذه الآلام ، فى كل مكان فى جسده ..

لدغات عديدة مؤلمة ...

هنا فقط ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، بكل رعب الدنيا ...

الجزء المنهار ، من حافة الحفرة ، كشف خلية هائلة لذلك النمل الأبيض العملاق ...

وجسده كله مغطى به ...

آلاف النمل على جسده ، يلدغه بلا رحمة ...

بل يلتهمه التهامًا ...

حاول تخليص ذراعه اليمنى ، أو استخدام جاروف الحفر ، لدفع النمل عن جسده ...

ولكن هيهات ...

أعداد النمل راحت تتزايد وتتزايد ، ولدغاتهم صارت أشبه بأنياب صغيرة ، تنهش فى كل جزء من جسده ...

وصرخ ...

صرخ مستنجدًا ...

صرخ ... وصرخ ... وصرخ ...

ولكن خطته كانت محكمة تمامًا ...

من المستحيل أن يسمعه أحد ، فى طرف المدينة الجديدة ، وفى مواجهة المنطقة المهجورة ...

وعلى كل جسده ، شعر بدبيب النمل ...

وراحت الأنياب الدقيقة تنهش جسده ، وهو يواصل صراخه ...

ثم ، ومع مطلع الفجر ، توقَّفت صرخاته تمامًا ...

ومع الظهر ، كانت جمجمته البيضاء تلتمع ، تحت أشعة الشمس ، وأسراب هائلة من النمل تكمل تنظيف باقى هيكله العظمى ...

وبمنتهى الإتقان .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

4 ـ ومن الحب ..

« جن ؟!... »

نطقها الشيخ (حسن) فى دهشة ، وهو يحدق فى وجه المهندس (صفوت) ، الجالس أمامه فى ذلك المسجد الصغير ...

« أى سؤال هذا يا ولدى ؟... »

حملت العبارة كل دهشة الشيخ واستنكاره ، فازدرد (صفوت) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول فى اضطراب :

ـ أليسوا مذكورين فى القرآن يا مولاى ؟!

أومأ الشيخ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حذر :

ـ هذا صحيح يا ولدى ، ولكن ليس كل ما نعجز عن تفسيره هو جن .

بدا (صفوت) أكثر توترًا ، وهو يقول :

ـ ولكننى اختبرت هـذا بنفسى يا سيدنا ... اتخذت كـل الاحتياطات الممكنة ، وتيقَّنت من أن التفسير الوحيد المتبقى هو الجن .

ربَّت الشيخ (حسن) على كفه مهدئًا ، وحاول أن يبتسم مطمئنًا ، وهو يقول :

ـ اهدأ يا ولدى ، وقص علىَّ كل شىء من البداية .

تراجع المهندس (صفوت) ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى اضطراب واضح :

ـ كل شىء بدأ من أسبوعين فحسب ... عندما كنت نائمًا ذات ليلة ...

« استيقظ ... »

تسلَّل الصوت الناعم الهامس إلى أذنيه ، وهو مستغرق فى النوم ، وبدا أشبه بلمحة من حلم جميل ...

ولكن تلك اللمسة أيقظته ...

لمسة رقيقة من أنامل أنثوية صغيرة ، على كف يده ...

لمسة حقيقية ، جعلته يفتح عينيه الناعستين فى بطء ، لتطالعه تلك الابتسامة الساحرة ، لأنثى لم ير فى مثل جمالها من قبل ...

لوهلة ، تصوَّرأنه يواصل الحلم ، ثم لم يلبث أن أدرك أنه مستيقظ ، فوثب جالسًا على نحو عجيب ، وجف حلقه ، وهو يهتف :

ـ من أنت ؟..! وكيف دخلت إلى هنا ؟!

لم تجب الفتاة ، ولكن ابتسامتها ازدادت سحرًا وعذوبة ، وهى تتطلَّع إليه فى وله :

ـ كم أنت وسيم .

دفع جسده إلى الخلف مبتعدًا عنها ، وهو يكرر صارخًا :

ـ من أنت ؟!

جلست كالنسمة على طرف فراشه ، وبدا صوتها وكأنه قادم من الجنة ، وهى تقول :

ـ لا تخاف منى ولا تخشانى ... لا يمكننى أن أؤذيك

Looloo
www.looloolibrary.com

هتف بصوت مختنق :

ــ كيف دخلت هنا ؟..! أنا أغلق الأبواب والنوافذ جيدًا قبل نومى !!

تابعت ، وكأنها لم تسمعه :

ــ لأننى أحبك .

الكلمة الاخيرة جعلته يحدق فيها ذاهلاً ، وقلبه يخفق فى عنف ...

يا لها من فاتنة !!

إنها أجمل فتاة وقعت عليها عيناه ، منذ وعى الدنيا ...

كتلة من الجمال والرقة والحسن والسحر والعذوبة ...

وعلى الرغم منه ، رق صوته ، وهو يغمغم :

ــ هل التقينا من قبل ؟!

همست فى رقة وعذوبة :

ــ ليس على نحو مباشر .

ثم مالت نحوه :

ــ ولكننى أحبك منذ زمن .

غمغم ، وقد خلب سحرها لبه :

ــ وكيف ؟!

ابتسمت هامسة :

ــ أراقبك منذ زمن .. أراك ولا ترانى ... أحبك وإن لم تلق بى قط .

حاول أن يستوعب الأمر ، ودار ببصره على الباب والنوافذ المغلقة ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغمًا :

ــ أنت جزء من حلمى ... حلم جميل ... سأستيقظ منه فى الصباح .

مالت نحوه أكثر ، وانحنت تطبع قبلة دافئة على خده ، هامسة :

ــ أنا لست حلمًا ... أنا حقيقة ...

واستيقظ منتفضًا ...

رباه !... لقد كان حلمًا ...

كان حلمًا جميلاً ...

« لا عيب فى الأحلام ، ولا إثم فيها يا ولدى ... »

قالها الشيخ (حسن) ، محاولاً سحب بعض توتره ، فهز (صفوت) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ــ الأحلام لا تترك هذا يا سيدنا .

قالها فى عصبية ، وهو ينزع ما بدا أنه ضمادة صغيرة ، على خده الأيسر ، فاتسعت عينا الشيخ (حسن) فى دهشة ...!!

كان هناك أثر واضح لشفتين أنثويتين ، بلون وردى ناعم ...

« استخدمت كل وسيلة ممكنة لمحوها ، ولم يجد أيًا منها ... »

قالها (صفوت) فى يأس ، فمد الشيخ (حسن) يده يتحسسها ، قبل أن يغمغم :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ تبدو وكأنها محفورة على خدك .

غمغم (صفوت) فى مرارة :

ـ إنها كذلك ... شىء أشبه بالوشم ، الذى تستحيل إزالته .

تراجع الشيخ (حسن) بكل الدهشة ، وغمغم :

ـ لم نسمع أن جنية قد فعلت هذا .

تمتم (صفوت) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لقد فعلت ما هو أكثر من هذا .

سأله الشيخ (حسن) فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

زفر (صفوت) فى مرارة ، ورفع عينيه فى شرود ، وكأنما يستعيد ذكرى مؤلمة ، ثم أجاب :

ـ فى اليوم التالى ، أغلقت الباب والنوافذ بأقفال مزدوجة ، وفحصت كل شبر فى حجرتى ، ثم أويت إلى فراشى بعينين نصف مغمضتين ، و ...

« أنا هنا ... »

أتى الصوت من خلفه رقيقًا ناعمًا ، فانتفض جسده فى عنف ، واستدار إلى مصدره ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

كانت اليوم أكثر سحرًا وجمالاً وعذوبة ...

ابتسامتها عقدت لسانه فى حلقه ، وهى تتقدم منه فى هدوء ونعومة :

ـ هل افتقدتنى ؟!

ارتجف صوته مع جسده :

ـ ماذا أنت ؟!

ابتسمت :

ـ مخلوق فى هذا الكون ... ربما اختلف عنك فى التكوين ، ولكننى مثلك ... مخلوق .

تمتم مشيرًا إليها :

ـ وهذا السحر والجمال .

اتسعت ابتسامتها الساحرة :

ـ كل بنى جنسى كذلك ... ما يبدو جمالاً ساحرًا عند بنى جنسكم ، هو الهيئة الطبيعية لبنى جنسنا .

غمغم متراجعًا عنها :

ـ الأساطير تقول : إن حوريات البحر كن جميلات ساحرات .

هزَّت رأسها بابتسامة هادئة ، فاستدرك :

ـ وكن متوحشات قاسيات .

تطلَّعت إليه لحظة ، قبل أن تسأله فى رقة بالغة :

ـ وهل أبدو لك كذلك ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

نظر إلى جمالها الساحر الفتّان لحظات ، قبل أن يهز رأسه نفيًا :

ــ كلا .

ازداد قربها منه ، فسألها متراجعًا :

ــ ماذا تريدين منى ؟!

واصلت قربها :

ــ أخبرتك أننى أحبك .

كرر ، وقد التصق ظهره بجدار الحجرة :

ــ نعم ، ولكن ماذا تريدين منى ؟!

واصلت قربها ...

وواصلت ...

وواصلت ...

« الزواج ؟..! »

هتف الشيخ (حسن) بالكلمة فى استنكار ، فنظر إليه (صفوت) فى دهشة ، مغمغمًا فى عصبية :

ــ لماذا افترضت هذا ؟!

أجابه الشيخ (حسن) فى انفعال :

ــ هذا ما يحدث عادة ؟!

ثم استدرك ، فى صرامة محذرة :

ــ ولكن زواج الإنس بالجن حرام .

غمغم (صفوت) فى يأس :

ــ أعلم هذا .

ثم تابع منهارًا :

ــ ولكنها تزورنى كل ليلة ... أكاد أجن يا مولانا .

صمت الشيخ (حسن) لحظات يتأمله ، ثم مال نحوه ، يسأله فى تعاطف :

ــ وماذا يمكننى أن أفعله من أجلك يا ولدى؟!

تشبث (صفوت) بيده ، هاتفاً فى ضراعة :

ــ ساعدنى على صرفها يا مولانا ... بارك منزلى ... اتل فيه آيات القرآن ... اقرأ بعض الأوردة ... ولكن خلصنى منها .

تردَّد الشيخ (حسن) :

ــ ولكننى لم أختبر هذه الأمور أبدًا يا ولدى .

تشبث به (صفوت) أكثر :

ــ هى فرصة لتختبرها إذن ... ساعدنى يا مولانا ... أرجوك .. أكاد أجن ... أرجوك .

تردَّد الشيخ طويلاً ، ولكن سرعان ما غلبه فضوله ، واستحثته دموع (صفوت) وضراعاته ، فغمغم :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ فليكن ... متى تحب أن نفعل هذا ؟!

هتف (صفوت) بكل اللهفة :

ـ الليلة ... أرجوك .

ووافق الشيخ ...

وفى منتصف الليل ، دخل مع (صفوت) إلى منزل هذا الأخير ، وإلى حجرة نومه بالتحديد ، وجلس ينتظر ...

« هل ستظهر ؟!.. »

تساءل الشيخ فى قلق ، فقال (صفوت) فى ارتياح :

ـ إنها تفعل دومًا .

غمغم الشيخ قلقًا :

ـ ربما أن وجودى ...

قاطعه صوت ناعم من خلفه ، يكمل :

ـ سيشجعنى أكثر على الحضور.

التفت بدهشة مذعورة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره عليها ...

صورة مجسمة للجمال والفتنة والسحر ...

« يسعدنى أنك قد أتيت بإرادتك ... »

أسرع الشيخ يفتح حقيبته ، دون أن يرفع عينيه عن وجهها ، وهو يقول :

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ابتسمت قائلة :

ـ أنا مخلوق مثلك يا رجل ... ولكن لى طبيعة مختلفة .

مع آخر قولها ، تبدَّلت ملامحها ، من الفتنة الساحرة ، إلى البشاعة الهائلة ، وبرزت فى فمها أنياب طويلة حادة ، جعلت الشيخ يتراجع صارخًا :

ـ العياذ بالله .

وانقضت هى ...

وأشاح (صفوت) بوجهه فى ألم ...

« كل أسبوع عليك أن تحضر لى مثله ... نحن نحبكم كثيرًا »

قالتها فى شراسة مخيفة ، بعد أن انتهت من التهام ضحيتها ، ومسح شفتيها بلسانها الطويل ، المشقوق من المنتصف ، فغمغم (صفوت) فى مرارة :

ـ قلت : إنها مرة واحدة .

صرخت فيه :

ـ نسيت أن أضيف كلمة (أسبوعيًا) ...

ثم مالت نحوه ، وألصقت خده بلسانها البشع ، مستطردة فى وحشية :

ـ إن لم تفعل ، لن يكون أمامى سوى التهامك أنت .

كاد يبكى من القهر ، ولكنها اعتدلت مكملة :

Looloo
www.looloolibrary.com

– أخبرتك أننى مخلوق مثلكم ، ولكن الفارق بيننا وبينكم هو أنكم ... طعامنا .

وانطلقت من حلقها ضحكة وحشية قاسية رهيبة ...

ضحكة مخلوق وحشى يحب ...

طعم البشر .

* * *

5 ـ أمـــل ..

الكل فى حالة وحشية تمامًا ...

الكل يطاردنى بصرخات مجنونة مسعورة ...

وأنا أعدو بكل قوتى ...

وسهامهم تمرق من حولى ...

الكل يريد جسدى ...

وليس لقتلى ...

ولكن لالتهامى ...

إنه موقف لم يخطر لى ، حتى فى أبشع أبشع كوابيسى ...

أكلة لحوم البشر يطاردوننى ...

صرخاتهم تثير الهلع فى كيانى ، وتدفعنى للجرى كالمجنون ، فرارًا بحياتى ...

وفى ذهنى ذلك المشهد الرهيب ، الذى وقع عليه بصرى عندهم ...

مشهد ضحية بشرية ، يمزقونها حية ، ويوزعون لحمها فيما بينهم ، ويلتهمونه فى نهم وحشى مقزز ...

كان هذا قبل أن يكشفوا وجودى ...

ويستديرون بأعينهم وأنيابهم ووحشيتهم ونهمهم نحوى ...

Looloo
www.looloolibrary.com

لحظة واحدة ، حدّقوا خلالها فى ، قبل أن تلتمع عيونهم ، وينطلقون نحوى مباشرة ، وهم يطلقون صرخاتهم الوحشية ...

وبكل قوتى جريت ...

وجريت ...

وجريت ...

ولكن كل هذا انتهى عند تلك الحافة ...

حافة جرف عال مرتفع ، يطل على شلال قصير ، ونهر كبير ...

نهر يمتلئ بالتماسيح الهائلة ، التى رفعت عيونها وفكوكها نحوى ، على أمل أن أقفز ...

لم يعد هناك أمل ...

سيتم التهامى فى كل الأحوال ...

إما بأنياب التماسيح ...

أو بأنياب أكلة لحوم البشر ...

ومن خلفى سمعت صرخاتهم تتوقف ...

واستدرت أواجههم ...

جيش من أكلة لحوم البشر ، بوجوههم الشاحبة ، وأنيابهم الطويلة القذرة ، التى ما زالت بقايا ضحيتهم السابقة عالقة بها ...

ما من أمل ...

ولا بد لى أن أختار ...

التماسيح ...

أو أكلة لحوم البشر ...

وانقض الجيش علىَّ ، وهو يطلق صرخاته ، و ...

فجأة ، وجدت نفسى فى معملى مرة أخرى ...

أقف أمام آلة الزمن ، التى أنهيت صنعها على التو ...

وعلى بعد خطوات يقف مساعدى ...

« هناك خطأ فى الحسابات ... »

للمرة الألف ، سمعت العبارة نفسها ...

« لو انطلقت الآلة الآن ، ستدخل فى دوائر مغلقة ... »

أردت أن أقول شيئًا ...

أى شىء ...

ولكنه ، وكما يحدث فى كل مرة ، نطقها فى نفس اللحظة ، التى جذبت فيها ذراع آلة الزمن ...

ووجدت نفسى أنطلق ثانية ...

شعرت بجسدى ينسحب ، عبر ممر أضواء مختلفة ، كما حدث فى المرات السابقة ...

ثم سقط جسدى فجأة ، وسط تلك الغابة القديمة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

فصائل النباتات من حولى ، أخبرتنى أننى قد عدت آلاف السنين إلى الماضى ...

حاولت ألا أتحرك هذه المرة ، ولكننى وجدت نفسى أسير فى نفس المسار ، الذى سرت فيه فى المرة السابقة ...

أسير حتى تلك الأكمة من الأغصان ، حيث أرى ما يحدث ...

كان هناك شخص آخر ، يرتدى ما يوحى بأنه قد أتى من زمنى بوسيلة ما ...

وكانوا يجذبونه بلا رحمة ...

كان ظهره فى مواجهتى ، ولكن صرخاته الرهيبة كانت تنقل لى مدى عذابه ...

ومن حوله ، راح أولئك الوحوش يرقصون ...

ثم أشعلوا النار تحت قدميه ...

صرخاته كانت رهيبة ، بمقدار عذابه ...

ثم انقضوا عليه ، وراحوا يمزقون قطعًا من لحمه ، ويوزعونها على بعضهم البعض ، ويلتهمونها ، والدماء تسيل منها على وجوههم ...

أبشع مشهد شاهدته ، فى حياتى كلها ...

وعلى الرغم من معرفتى ما سيحدث ، ضغطت ذلك الغصن الجاف بقدمى ، فتحطَّم على نحو مسموع ...

والتفتوا إلىَّ ...

وكان ما كان ...

ومرة جديدة ، وجدت نفسى فى معملى ...

« هناك خطأ فى الحسابات ... »

وجذبت ذراع آلة الزمن ، مع عبارة مساعدى ...

وبدأ العذاب مرة أخرى ...

ولكن لا ...

لن أستسلم لدائرة العذاب هذه ...

هناك حتمًا وسيلة للخروج منها ...

هناك حتمًا أمل ...

فى هذه المرة استنفرت كل إرادتى ؛ حتى لا أكرر خطواتى السابقة ...

لم أسر نحوهم مباشرة ...

درت فى اتجاه مختلف ...

نجحت فى تغيير مسار الأحداث ...

ولكن مهلاً ... لقد درت دورة قصيرة ، ثم وجدت نفسى فى المكان ذاته ، أشاهد العذاب الهائل لضحيتهم ...

وأصررت ألا أرفع قدمى ...

وألا أطأ ذلك الغصن الجاف ...

ولكنهم ــ وعلى الرغم من أننى لم أفعل ــ انتبهوا لوجودى ...

Looloo
www.looloolibrary.com

والتفتوا إلىَّ ...

وعدت أجرى بكل الرعب ...

وها هى ذى اللحظة الرهيبة تتكرَّر ...

هم ...

أو التماسيح ...

« هناك خطأ فى الحسابات ... »

قالها مساعدى ، فحاولت ألا أجذب ذراع آلة الزمن ...

ولكننى فعلت ...

وانسحب جسدى عبر نفق الأضواء الذى سئمته ...

وها أنذا هناك ...

فى ذلك العصر القديم ...

عذاب الضحية يفوق كل تصور ...

تخيل نفسك تلتهم حيًّا ، والنيران تشوى قدميك ...

ولكن صرخات الضحية تبدو لى مألوفة ...

وزيه كذلك ...

أهو مساعدى ، حاول استخدام آلة الزمن لإنقاذى ، فسقط ضحية لهم ؟..!

ياللمسكين ...!

كنت أكثر حرصًا فى هذه المرة ، تحرَّكت بخفة ...

نجحت فى كسر قانون الزمن هذه المرة ...

ولكن الضحية فعل شيئًا ما ، جعلهم يلتفتون إلىَّ ...

وعدت أجرى وهم يطاردوننى ...

ووصلت إلى الخيار الرهيب ...

و ...

« هناك خطأ فى الحسابات ... »

عدت أجذب ذراع آلة الزمن ، وقد وضعت فى ذهنى خطة هذه المرة ...

المشكلة هى أننى ، وفى كل مرة ، أجرى نحو الحافة ، حيث يقتصر الخيار على أنياب التماسيح ، أو أكلة لحوم البشر ...

هذه المرة ، إذا شعروا بوجودى ، سأستنفر أقصى إرادتى ، وأجرى فى الاتجاه العكسى ...

هنا سيكمن الأمل ...

أى أمل ...

كان المجهود رهيبًا ، ولكننى نجحت فى تغيير خط السير ، على نحو ملحوظ ...

صحيح أننى وصلت إلى نفس النقطة ، حيث يعذبون ويأكلون ضحيتهم ، ولكن من زاوية مختلفة تمامًا ...

Looloo
www.looloolibrary.com

من هناك ، حاولت رؤية وجه الضحية ...

ولكنه كان مغطى تمامًا بالدم ...

وكان بعض أكلة لحوم البشر يلعقون الدم عنه ، فى استمتاع حيوانى مقزز ...

كنت أتمنى أن أملك وسيلة لتخليصه من عذابه ...

ولكن كيف ؟..!

كيف ؟..!

وبينما يمزقون لحمه ، ويشعلون النار تحت قدميه ، التفت نصف التفاتة ، وصرخ وكأن هذا أمله الأخير ...

ــ أرجوك ... اقتلنى .

صرخته جعلتهم يلتفتون إلىَّ ...

ثم انقضوا ...

بذلت جهدًا خرافيًا ، لاستنفار آخر قطرة من إرادتى ...

واستدرت إلى الناحية العكسية ...

وجريت ...

لقد انتصرت ...

غيَّرت المسار ، وانطلقت بعيدًا عن نهر التماسيح ...

وبكل قوتى رحت أجرى ، وهم خلفى يصرخون صرخاتهم الوحشية ...

ولكن أين يمكن أن يقودنى هذا ؟..!

إلى أى مصير ...

كانت الغابة متشابكة الأغصان ، ولكننى رحت أجرى ...

وأجرى ...

وأجرى ...

ثم فجأة ، وجدت نفسى أمام ثلاثة متوحشين ، أطلق أحدهم صرخة رهيبة ...

ثم هوى على رأسى بسلاح حجرى قديم ...

وسقطت فاقد الوعى ...

لم أدر كم فقدت الوعى ، ولكننى وعندما استيقظت ، كان وجهى مغطى بالدم ، وكانوا يجذبوننى نحو مذبحهم ...

قيدونى إلى المذبح ، وأنا أصرخ ...

وأشعلوا النار تحت قدمىَّ ...

رباه ! ... لقد كنت أنا ...

أنا الضحية التى رأيتها تواجه أبشع عذاب فى الكون ...

وهذا يعنى أننى هناك أراقب ما يحدث ...

لهذا بدا لى كل شىء مألوفًا ...

لم يكن مساعدى الذى يعذّب هذا العذاب الرهيب ...

Looloo
www.looloolibrary.com

لقد كنت أنا ...

وبينما يمزقون قطعًا حية من لحم جسدى ، ويأكلونها فى شراهة ، صرخت :

ـ أرجوك ... اقتلنى .

ولكن العذاب استمر ...

وبلا أمل .

* * *

6 ـ عيـــن ..

اليوم بدأ هادئًا ، على الرغم من كل المشكلات القديمة ...

زوجها لم يتشاجر معها كعادته ؛ لأن الإفطار تأخَّر ...

ولم يسب أباها وأمها ، وهو يغادر إلى عمله ...

وصاحبة المنزل لم تلح فى طلب الأجرة كالمعتاد ..

وحتى شقيقة زوجها ، لم تلق كلمتين سخيفتين ، وهى تمر بها كعادتها ..

ولهذا فقد التقطت نفسًا عميقًا ، بعد انصراف زوجها ، وقرَّرت أن تحصل على إجازة من الأعمال المنزلية ، أيًا كانت النتائج ...

لن تنهض لتنظيف المنزل ...

أو طهى الطعام ...

أو كى ثياب زوجها ...

أو حتى تنظيم دولابه ...

اليوم إجازة ، ستقضيها نائمة ، حتى ولو ثار زوجها وهاج وماج عند عودته من العمل ...

لم يعد هذا يهم ...

لقد اعتادته ...

استلقت فى فراشها ، وأسبلت جفنيها ، وراحت تحلم بأنها تحيا فى عالم وهمى بلا منغصات ...

Looloo
www.looloolibrary.com

عالم ليس فيه زوجها ...

أو شقيقته ...

أو حتى صاحبة المنزل ...

لم تسرح بأفكارها طويلاً ، وقد غلبها النوم العميق ...

ونامت ...

صرخة قوية ، جعلتها تقفز من فراشها مذعورة ، وتعدو نحو باب الشقة ، لترى ماذا حدث ؟!..

وهالها كل الهرج والمرج على سلم المبنى ...

العشرات يعدون مسرعين ، ويتجاوزونها بوجوه شاحبة ، فى طريقهم إلى أعلى ..

استوقفت أحدهم ، تهتف به فى ارتياع :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابها فى توتر كبير :

ـ الست (نعيمة) ... صاحبة المنزل .

ضربت صدرها براحتها ، هاتفة :

ـ هل ماتت .

صاح وهو يتجاوزها :

ـ مقتولة ... عثروا عليها مقتولة .

انكمشت فى فراشها ترتجف ، والهرج والمرج يتزايدان على السلم ...

صاحبة المنزل مقتولة ؟..!

من قتلها ؟!..

ولماذا ؟..!

ظلت تطرح السؤال على نفسها ، حتى عاد زوجها من عمله ، فسألته مرتجفة :

ـ من قتل الست (نعيمة) ؟!

زفر مجيبًا :

ـ شخص يكرهها ، وينتقم منها .

أدهشها الجواب ، فتساءلت خائفة :

ـ ولماذا لا يكون مجرَّد سارق عادى .

لوَّح بكفه ، قائلاً :

ـ السارق لا يفعل هذا.

سألته وقلبها يخفق :

ـ لا يفعل ماذا ؟!

ألقى عليها نظرة ازدراء لغبائها ، قبل أن يشيح بوجهه ، مجيبًا :

ـ ترك النقود كما هى ، وأخذ ...

لم يتم قوله ، فانقبض قلبها ، وهى تسأله :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أخذ ماذا ؟!

صمت لحظات ، وكأنه يستصعب الأمر ، قبل أن يجيب فى امتعاض واضح :

ـ أخذ عينها اليسرى .

تراجعت مصعوقة :

ـ عينها ؟!

لوّح بذراعه كلها هذه المرة ، وهو يجيب :

ـ لم يعثروا عليها أبدًا .

ارتجف جسدها كله رعبًا ...

اقتلع عينها ؟!..

إنه شخص ينتقم حتمًا ...

شخص يكرهها أشد الكره ...

كانت تشعر برعب شديد ، خفف منه أن ما حدث أبعد ذهن زوجها عن تقاعسها عن أعمالها المعتادة اليوم ...

لقد اكتفى ببقايا طعام أمس ، وأوى إلى فراشه ، وكأنه يأمل أن ينقذه النوم من التفكير فيما حدث ...

أما هى ، فلم تنم ...

ظلت تفكر فى العين ...

العين التى اقتلعها القاتل ...

ولكن ، وعلى الرغم من ذعرها ، لم يكد الفجر ينبلج ، حتى استغرقت فى النوم ...

وكان حلمًا مفزعًا ...

كان كابوسًا رهيبًا ...

كابوس رأت فيه زوجها يقيد الست (نعيمة) ، وشقيقته تخنقها ...

ثم تقتلع عينها فى تشف ...

وهبت من فراشها صارخة ...

ولم يرحم زوجها انتفاضتها ودموعها ، وإنما راح يلعنها ويسبها ؛ لأنها أيقظته بصرخاتها من نومه ...

روت له ما رأته فى حلمها ، فانزعج فى شدة ، وصفعها على وجهها ، وكأنها مسئولة عن أحلامها ...

وحذرها من أن تروى حلمها لأحد ...

ولم تفهم ...

ولكنها فى الصباح نفسه ، وعندما أتت لتضع الإفطار على المائدة ، وجدته يجرى حديثًا هامسًا عبر الهاتف المحمول ...

وعندما كان يغسل كفيه عقب الإفطار ، التقطت هاتفه خلسة ، وألقت نظرة على آخر اتصال ...

كانت شقيقته ...

ترى فيم كان يتهامس معها ؟!..

Looloo
www.looloolibrary.com

هل كان يروى لها الحلم ؟..!

أم يحذرها منه ...

ومنها ...

وإلى قلبها ، تسلَّل رعب شديد ...

تُرى هل كان ما رأته حلمًا ...

أم رؤيا ؟..!

هل قتل زوجها وشقيقته صاحبة المنزل بالفعل ؟..!

ولكن لو أنهما فعلاً ، فلماذا اقتلعا العين ؟..!

لماذا ؟!..

ملأ الرعب نفسها ، وشعرت أنها لن تتحمل البقاء مع زوجها فى بيت واحد بعد الآن ...

ماذا لو قتلها وهى نائمة ؟..!

وماذا لو اقتلع عينها ...

صرخت فى أعماقها ، وشعرت برأسها يدور ...

ويدور ...

ثم سقطت فاقدة الوعى ...

وعندما استعادت وعيها ، كان الهرج والمرج أكبر من ذى قبل ...

وكان زوجها يصرخ ويبكى ...

وتضاعف رعبها ألف مرة ...

بل ألف ألف مرة ...

وعندما عرفت سر حالة الهرج الجديدة ، مع مقدم الشرطة والإسعاف ، شعرت أن قلبها قد هوى بين قدميها ، وداسته بلا وعى ، فتمزَّق وتفتَّت ...

إنها شقيقة زوجها هذه المرة ...

وبنفس الوسيلة ...

مخنوقة ...

واقتلع القاتل عينها اليسرى ...

اتسعت عيناها عن آخرهما فى رعب ...

لماذا العين ؟..!

لماذا ؟..!

لم تستطع طرح السؤال على زوجها ، مع تحقيقات الشرطة ، التى شملت الحى كله ...

حتى هى وزوجها ، حقَّقت معهما الشرطة ...

زوجها كان يتظاهر بالانهيار ...

وهى أخفت شكوكها فى أعماقها ...

وعندما عادا معًا إلى منزلهما ، لم تشر إلى الأمر ، من قريب أو بعيد ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وزوجها كذلك لم يفعل ...

ولكن أعصابه المتوترة جعلته أكثر شراسة وعنفًا ...

كان يسبها ويلعنها ، ويسب والديها ، على أتفه الأسباب ...

وتحقيقات الشرطة استغرقت أسبوعين كاملين ...

وكل الصحف أشارت إلى ما حدث ...

فكرة اقتلاع عين الضحية ، شغلت الرأى العام كله ...

لم يفهم أحد لماذا ؟..!

خبراء الجريمة قالوا إنها دليل على الانتقام ...

وخبراء علم النفس أكدوا أن القاتل يريد تذكارًا لجريمته ...

وهى لم تفهم هذا أو ذاك ...

كل ما فهمته هو أن حياتها مع زوجها ، صارت جحيماً ، أشد هولاً مما سبق ...

حتى كانت تلك الليلة ...

سبها ... ولعنها ...

وضربها أيضًا ...

وبعدها نام كالبهيمة ، بعد أن عاشرها على الرغم منها ...

فى تلك الليلة ، عاودها الحلم نفسه ...

ولكن مع تعديل بسيط ...

زوجها كان يقيد شقيقته ويخنقها ، والست (نعيمة) تقتلع عينيها ...

وهبت من فراشها ، وهى تكتم صرختها هذه المرة ...

كتمتها لحظة واحدة ، ثم أطلقتها مدوية بعد هذا ...

فإلى جوارها كان يرقد زوجها باردًا ، ونصف وجهه الأيسر مغطى بالدم ...

الطب الشرعى أثبت أنه مات مخنوقًا ...

وأن القاتل قد اقتلع عينه اليسرى ...

والأدلة الجنائية وجدت شباك حجرة النوم مكسورًا ...

ولكن ما من أثار أخرى ...

أما هى فقد أصابتها صدمة نفسية رهيبة ، جعلتها أشبه بالمجنونة ، حتى أنه تم احتجازها لثلاثة أشهر ، فى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية ...

التحقيقات استغرقت شهرًا كاملاً ، ثم انتهت بقيد الجرائم ضد مجهول ...

وعندما عادت إلى منزلها ، راح الكل يواسيها ، ويعاملها بشفقة وتعاطف ، وهى حزينة وشاردة منكسرة ...

ولكن سرعان ما شعرت فى منزلها بحالة جديدة ...

بالحرية ...

القاتل المجهول خلصها من كل منغصات حياتها ...

Looloo
www.looloolibrary.com

صاحبة المنزل ...

وزوجها ...

وشقيقته ...

وفى المصحة علمت بأنه يمكن للمرء ارتكاب جريمة بشعة ، دون حتى أن يدرك ..

هذا لأن عقله الباطن يحركه عندئذ ، وليس عقله الواعى ...

نهضت تعد طعام الغداء لنفسها ، وفتحت باب المبرد ، والتقطت من صندوق الثلج كيسًا يحوى دجاجة صغيرة ، وقبل أن تغلق بابه ، ابتسمت وهى تنظر إلى ذلك الكيس خلفه ...

كيس يحوى ثلاث عيون ...

بشرية .

* * *

7 ـ المسخوط ..

أخبروه عنه ، منذ اليوم الأول ، الذى تسلّم فيه عمله ، فى تلك القرية النائية ، فى أقاصى الصعيد ...

المسخوط ...

لا أحد فى القرية كلها ، يعلم من أين جاء ...

ولا إلى أى مكان ينتمى ...

البعض يقول : إنه يجوب البلاد ، منذ استطاع السير ...

والبعض الآخر يؤكد أنه اختار هذا المكان ، منذ مولده ...

اختلفوا فى تاريخ ظهوره فى القرية ...

وفى سبب اختياره لها ...

ولكنهم اتفقوا على أمر واحد ...

كراماته ...

الكل يروى فى حماس ، حكايات يستحيل أن يصدقها مثله ، ممن نشأوا وترعرعوا فى (القاهرة) .

يروون كيف ذهب إليه الحاج (عبد الظاهر) مشلولاً ، وخرج من عنده يسير على قدميه ...!!

كانت حكاية تقليدية ، تروى عن كل المحتالين ، من هذا الطراز ...

www.looloolibrary.com

لولا أمر واحد ...

فالحاج (عبد الظاهر) رجل تعرفه القرية كلها ، وتعرف بأمر شلله ، منذ أكثر من عشر سنوات ، عندما سقط عن جرّاره الزراعى ...

يستحيل إذن أن يتآمر مع المسخوط ...

ولا أن يدعى سيره على قدميه ...

ولو صحت هـذه القصة ، فسيعنى هـذا أنه هناك سر ما ، وراء ذلك المسخوط ...

ما يصفونه به وحده ، يستحق التوقف طويلاً ...

فالكل يصفه بأنه قصير القامة ، فى حجم شاب فى بداية فترة المراهقة ...

له رأس ضخم ...

وأطراف نحيلة رفيعة ...

ولكن أطرافه تنتهى كلها بستة أصابع فى كل طرف ، وليس خمسة ، مثل كل البشر ...!!

وهو لا يلتقى بأكثر ممن ينعم عليهم ببركته ...

وحدهم يدخل حجرته ، فى كوخه الصغير ، الذى بناه ملاصقًا للجبل ...

وهو لا يتقاضى أجرًا على الإطلاق ...

لا نقود سائلة ...

أو حتى منقولات ...

البعض حاول أن يعطيه دجاجًا ، أو دقيقًا ، أو زيتًا ، أو حتى كيسًا من الشاى أو السكر ...

ولكنه رفض تمامًا ...

وعلى الرغم من أنه لا يغادر كوخه الصغير أبدًا ، فهو لم يطلب طعامًا قط ...!!

وهذا ــ فى رأيه ــ أعجب ما فى القصة ...

فكل كائن حى يحتاج إلى طعام ...

أى طعام ...!!

روايات خرافية ، تفوق حكاية الحاج (عبد الظاهر) ، الذى عاد للسير على قدميه ، بعد ساعة واحدة ، قضاها وحده مع المسخوط ...

« هناك ما هو أعجب من هذا ... »

قالها زميله (هانى) فى حماس ، فالتفت إليه ، وهو ينهى عمل اليوم الممل :

ــ مثل ماذا ؟..! هل ستخبرنى أنه أعاد البصر إلى أعمى ؟..!

هزّ رأسه نفيًا فى قوة :

ــ بل أعاد إلى (حسين) ذراعه.

حدّق فيه ذاهلاً ، قبل أن يهتف فى حنق :

ــ هل تسخر منى ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

أجاب مخلصًا :

ــ سل أى مخلوق فى القرية عن هذا ... (حسنين) فقد ذراعه منذ سبعة أعوام ، فى محلج القرية ... وذهب لزيارة المسخوط ؛ لكى يجد له عملاً أفضل ، وفوجئ به الكل يخرج من عنده بذراعين .

تساءل فى حذر :

ــ هل منحه ذراعًا صناعية ؟!

هزَّ رأسه على نحو أقوى :

ــ بل نبت له ذراع جديدة .

شمله ذهول تام ، وهو يحدق فى زميله :..

هذا مستحيل ...!!

ذراع مقطوعة ، لا يمكن أن تنبت مرة ثانية ...

حتى الأبحاث الطبية الحديثة ، التى تتصوَّر إمكانية هذا ، عبر استخدام الخلايا الجذعية ، مع تعاملات تكنولوجية خاصة ، يستحيل أن تقول : إن هذا يمكن أن يحدث فى ساعة واحدة ...

« أريد رؤية ذلك المسخوط ... »

قالها فى حماس ، فالتفت إليه (هانى) :

ــ لأى سبب ؟!... إنه يرفض اعتباره طفرة شاذة ، يذهب الكل لرؤيتها فحسب.

قال فى اهتمام :

ــ أريده أن ينقلنى إلى (القاهرة) .

صمت (هانى) لحظات ، ثم هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ــ بالنسبة إليه ، هذا سبب تافه .

قال فى إصرار :

ــ ولكنه سبب .

واصل (هانى) صمته بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول :

ــ فليكن ... سأبلغ (علوان) .

تساءل فى قلق :

ــ من (علوان) هذا ؟!

أجابه بابتسامة باهتة :

ــ تستطيع أن تقول إنه مدير أعماله ...

تصور أن (هانى) سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه استدرك فى سرعة :

ــ على الرغم من أنه لم يلتق به سوى مرة واحدة .

غمغم فى دهشة :

ــ ولماذا هو إذن ؟!

حاول (هانى) أن يبتسم ، وهو يجيب :

ــ إنه أوَّل من داواه ... كان أحد قطاع الطرق قد سرقه ، وقطع لسانه منذ طفولته .

Looloo
www.looloolibrary.com

هتف مرتجفًا من الدهشة :

ــ لا تقل لى : إن المسخوط أنبت له لسانًا .

أومأ برأسه إيجابًا :

ــ هذا ما حدث .

وتضاعف فضوله ، مع لهفته لمقابلة ذلك المسخوط ...

ألف مرة ...

وعندما أخبره (هانى) أن (علوان) سيأخذه للمسخوط غداً ، شعر بجسده كله يرتجف ...

إذن فهو سيلتقى به ...

والأهم أن المسخوط وافق أن يلتقى به ...

سهر لوقت طويل ، ينزل برامج جديدة على هاتفه ؛ لتسجيل ذلك اللقاء ، دون أن يشعر المسخوط بهذا ...

إنه يريد وثيقة عما سيحدث ...

لا يدرى لماذا ...

ولكنه يريد هذا ...

وفى الصباح ، طرق (علوان) باب استراحة البنك ، فأسرع يفتحه ، وهو يسأله :

ــ الآن ؟!

أجابه (علوان) فى برود :

ــ نعم ... الآن .

سار مع (علوان) لمسافة طويلة ...

طويلة جدًا ...

أكثر من ساعة كاملة ، يسيران وسط حقول القصب ، حتى خرجا إلى ساحة واسعة ، عند سفح الجبل مباشرة ، وفى نهايتها ذلك الكوخ الصغير ، الملاصق للجبل تمامًا ...

« انتظر ... »

قالها (علوان) بنفس البرود ، قبل أن يدخل إلى الكوخ ، دون أن يطرق بابه ...

وبقى هو وحده ينتظر ، ويتأمّل المكان من حوله فى توتر ...

يالله من مكان مقفر مخيف ..!!

ترى لماذا اختاره المسخوط لسكناه ؟!..

لماذا ؟!..

« هيا ... »

قالها (علوان) بنفس البرود ، وهو يفتح له باب الكوخ ، فدق قلبه فى قوة ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، وزفر فى حرارة ...

ودخل ...

Looloo
www.looloolibrary.com

أغلق (علوان) الباب خلفه فور دخوله ، فارتجف جسده ، مع الظلام الدامس ، الذى أحاط به ...

« أين أنت ؟..! »

هتف بها فى عصبية ، وهو يتلفَّت حوله ، محاولاً اختراق حجب الظلام ببصره ، قبل أن يأتيه صوت حاد رفيع صارم :

ــ أنا هنا .

استدار فى سرعة إلى مصدر الصوت ، فى نفس اللحظة ، التى غمر فيها ضوء أخضر عجيب الكوخ كله ...

وانتفض جسده فى قوة ...

فعلى ذلك الضوء ، رآه يجلس أمامه ...

المسخوط ...

تمامًا كما وصفوه ...

جسد ضئيل ...

رأس ضخم ...

وأطراف غاية فى النحول ...

والأهم ... العينان ...

عينان واسعتان كبيرتان ، يبدوان وكأنهما يخترقان كيانك كله ...

« لماذا أتيت ؟..! »

ألقى المسخوط سؤاله ، بصوته الحاد الرفيع ، فازدرد هو لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

ــ أريد الانتقال إلى (القاهرة) .

صمت المسخوط لحظات ، قبل أن يجيب :

ــ أو أى مكان آخر .

غمغم متوترًا :

ــ المهم ألا أبقى هنا .

قال المسخوط فى حسم وثقة :

ــ أضمن لك هذا .

هل يعنى حقًّا ما يقول ؟..!

هل يمكنه أن يضمن له الذهاب من هنا ؟!..

هل ؟..!

مدَّ المسخوط كفه الصغير ، وفرده أمامه ، فظهرت فى وسطه كرة من الكريستال الأحمر ، وقال بصوته الحاد الرفيع :

ــ استنشق هذه .

تردَّد لحظة ، وهو يتساءل : ما معنى هذا ؟!

لماذا يريد منه أن يستنشق كرة من الكريستال الأحمر ؟...!

راودته فكرة الرفض لحظة ، ثم نبذها فى سرعة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

مع كل العجائب التى يروونها عنه ، ماذا يضير لو نفذ مطلبه ؟..!

لن يخسر شيئًا ، فى كل الأحوال ...

انحنى فى حذر ، واستنشق تلك الكرة الكريستالية الحمراء ، وبدت له رائحتها قوية نفَّاذة ، و ...

وفجأة ... استيقظ ...

وبكل ذهول الدنيا ، حدَّق فى ذلك الواقف أمامه ...

لم يكن المسخوط ...

ولا حتى (علوان) ...

بل كان هو ...

كائن بشرى ، هو نسخة طبق الأصل منه ، يرتدى ملابسه ، التى انتبه إلى أنه قد تجرَّد منها ...

« ماذا فعلت بى؟!... من أنت ؟..! »

التفت إلى شبيهى ، وهو يقول بابتسامة غير مريحة :

ــ أنا أنت ... عينة صغيرة من حمضك النووى ، مع تكنولوجيتنا ، التى تسبق عالمكم بمائة عام على الأقل ، حوَّلتنى إلى نسخة طبق الأصل منك ..

قال ذاهلاً ومرتجفًا :

ــ تكنولوجيتكم ؟..! عالمنا ؟..! ماذا تعنى ؟!

سمع صوت المسخوط من خلفه :

ــ نعنى أنكم كائنات قوية ، ولكنكم أقل تطورًا منا ... ولدينا من التكنولوجيا ما يتيح لنا استنساخكم فى أجسادنا .

حاول أن يلتفت إليه ، وهو يقول فى رعب :

ــ أهذا ما فعلته ، مع كل من جاء إليك ؟!

أجاب المسخوط :

ــ استنسختهم ؟..! نعم ... ونسخهم كانت تحمل جينات مولدهم ، وليس ما أصابهم ... فالذى فقد ذراعه ، جاءت نسخته مكتملة بذراعين ، والذى أصابه الشلل ، جاءت نسخته صحيحة معافاة ... وحتى من فقد لسانه ، جاءت نسخته ناطقة ... الصفات الموروثة فقط تستنسخ ، والصفات أو العاهات المكتسبة لا تفعل .

قال مرتجفًا ، وهو يشعر بالألم ، مع قيود معصميه وقدميه :

ــ ولكن لماذا ؟..! وماذا تفعلون بالأشخاص الأساسية ؟

لم يجب المسخوط هذه المرة ، وإنما أجاب المستنسخ فى هدوء :

ــ أجسادنا ضعيفة ، وأجسادكم قوية ... وربما لهذا يفوق حجم رءوسنا رءوسكم ... وكنوز كوكبنا تحتاج إلى أيد عاملة قوية لاستخراجها ، ووجدنا ضالتنا فيكم .

هتف فى يأس :

ــ سخرة ؟..! هل قطعتم ملايين السنوات الضوئية ؛ للبحث عن عمال سخرة .

Looloo
www.looloolibrary.com

أجابه المسخوط من خلفه :

ـ ليس للسخرة فحسب .

مرة أخرى حاول أن يلتفت إليه ، ولكنه عجز عن هذا ، وسمعه يكمل :

ـ ألم تسأل نفسك : من أين أحصل على غذائى هنا ؟!

ثم برز رأسه أمام وجهه فجأة ، وهو يفتح فمه ، فتظهر أنيابه الشبيهة بأنياب سمك القرش ، مع استطرادته :

ـ إننا نستسيغ طعمكم أيضًا .

صرخ بكل الرعب ...

صرخ ...

وصرخ ...

وصرخ ...

ولكن المسخوط وضع تلك الكرة الكريستالية أمام وجهه مرة أخرى ...

حاول أن يكتم أنفاسه ، ولكنه لم يحتمل هذا طويلاً ...

واستنشقها ...

وبينما يغيب عن الوعى ، أدرك أنه ربما لا يستيقظ أبدًا ...

وربما يصبح بعد قليل وجبة شهية ...

بين أنياب ... المسخوط .

* * *

8 ـ بيت العيلة ..

سعل (حسنى) مرتين ، وهو يدخل بيت العائلة ، الريفى القديم لأوّل مرة ، منذ أكثر من عشر سنوات ...

بيت كبير ، أثاثه قديم ، وجدرانه مطلية بالجير ، وما زالت تحمل صور القدامى ...

أجداده ، وأجداد أبيه وأعمامه ...

وطئ التراب الكثيف فى حذر ، فهتف (عويس) الخفير من خلفه :

ـ الدار لم يدخلها أحد منذ سنوات يا باشا .

سأله (حسنى) فى صرامة :

ـ ولماذا لم يقم أحد بتنظيفه ؟!

تردَّد (عويس) قليلاً ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ لم يطلب أحـد تنظيفه يا باشا .

قال (حسنى) فى حنق :

ـ أيستلزم أن يطلب أحد ؟..! أنت خفير المزرعة منذ عقود ، ومعك مفاتيح الدار ، فلماذا لم تقم بتنظيف المكان ، على نحو دورى ؟!

تردَّد (عويس) مرة أخرى :

ـ وكيف يا باشا ؟..! لقد طعنت فى السن ، و ...

Looloo
www.looloolibrary.com

قاطعه (حسنى) فى حدة :

ــ لم أطلب منك تنظيفه بنفسك .

هتف (عويس) :

ــ ومن سيرضى بدخول المكان يا باشا ؟!

ثم تراجع فى سرعة ، مستدركًا :

ــ أعنى أن ... أن ...

لم يجد جوابًا ، فهتف به (حسنى) فى صرامة :

ــ أن ماذا ؟..!

تلفَّت (عويس) حوله ، وهو يهمس بصوت نافس جسده ارتجافًا :

ــ الدار مسكونة يا باشا .

حدَّق فيه (حسنى) مستنكرًا :

ــ ماذا تقول أيها المأفون ؟!

أجابه (عويس) مرتجفًا :

ــ أقول ما يعرفه الكل هنا يا باشا ... الدار مسكونة ... عشرات شاهدوا جنية تسير داخله ، حاملة شمعة كبيرة ... الولد (بيومى) تطلَّع إليها ، فالتفتت إليه بعينين تشعان نارًا ، فأصابه الجنون ، وها هو ذا يسير كالمجذوب ، فى طرقات القرية .

هزَّ (حسنى) رأسه مشفقًا :

ــ يا لكم من سذج بلهاء ؛ حتى تصدقوا قصصًا كهذه !

هتف (عويس) :

ــ سل الكل يا باشا .

لاحظ (حسنى) ، فى هذه اللحظة فقط ، أن (عويس) لم يدخل الدار ...

كان يقف فى شرفته الخارجية فحسب ...

« ادخل يا رجل ، وانسَ هذه الخزعبلات ... »

هتف بها (حسنى) فى غضب ، ولكن (عويس) ارتجف أكثر ، وهو يقول :

ــ لا تؤاخذنى يا باشا ، ولكننى لا أستطيع .

ردَّد (حسنى) مستنكرًا :

ــ لا تستطيع ؟!

تابع (عويس) ، وكأنه لم يسمعه ، وجسده كله يرتجف :

ــ ولو أننى أملك لك نصحًا ؛ لنصحتك بأن تعود إلى (القاهرة) ، ولا تدخل الدار .

شعر (حسنى) بغضب شديد فى أعماقه ، وهو يقول فى حدة :

ــ ماذا تقول أيها المأفون ؟..! أتحاول منعى من دخول بيت العائلة .

تراجع (عويس) مصدومًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أنا ؟..! حاشى لله يا سيدى وابن سيدى ... إنما قلتها لأننى أعتبرك بمثابة ابن لى .

قال (حسنى) فى عناد :

ـ وأنا سأبيت الليلة فى بيت العائلة ، وأريدك أن تجد من يقوم بتنظيفه .

امتقع وجه (عويس) ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا باشا !!... المغرب على الأبواب ، والناس هنا تخشى المرور بالدار فى ضوء النهار ، فما بالك بالليل ؟!

ثم مال نحوه ، وبدا صوته أقرب إلى البكاء وهو يضيف :

ـ أرجوك يا باشا ... لا تقضِ ليلتك هنا .

تملَّك العناد (حسنى) ، فقال فى إصرار :

ـ بل سأقضى ليلتى هنا ... حتى لو كان البيت مسكونًا بألف شبح وعفريت .

بدا (عويس) وكأنه على وشك البكاء ، وهو يقول :

ـ رعاك الله وحماك يا باشا ... رعاك الله وحماك .

ثم استدار ، وابتعد مهرولاً ، تاركًا (حسنى) وحده ، يتساءل : ماذا فعل بنفسه ؟...

لقد غلبه عناده ، ودفعه إلى الإصرار على أمر ، ليس بمقدوره احتماله ...

ليس لأنه يخشى الأشباح ...

أو حتى يؤمن بها ...

ولكن لأن البيت مغمور بالتراب ، ولا توجد به كهرباء ...

ستكون ليلة طويلة ...

طويلة جدًا ...

بحث فى المكان عن شىء يشعله ، حتى عثر على مصباح جاز قديم ، كان من حسن حظه ممتلئًا ، فقرَّر إشعاله ، مع مغيب الشمس ...

وفى صعوبة ، استطاع تنظيف فراش جده لنومه ...

ومع مغيب الشمس ، كان مرهقًا بحق ، فأشعل مصباح الجاز على مائدة صغيرة فى الحجرة ، واستلقى على الفراش ، وسرعان ما راح فى سبات عميق ...

ثم استيقظ فجأة ...

استيقظ على وقع أقدام تسير ، فى الصالة الخارجية ...

فتح عينيه ، واعتدل على طرف الفراش فى حركة سريعة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ...

فهناك ، عند حافة باب الحجرة السفلى ، كان هناك ضوء يتسرَّب ...

ويتحرَّك ...

ضوء شمعة ...

استعاد ما سمعه من (عويس) ، فسرت فى جسده إرتجافة ، وشعر بالبرد يتسلَّل إلى أطرافه ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم انتفض جسده كله فى عنف ...

فعبر الحافة السفلى للباب ، رأى ظلاً يقطع الضوء لحظة ، ثم يبتعد معه ويخفت ...

أهذا معقول ؟..!

أيمكن أن تكون هذه هى الجنية ، التى روى له (عويس) قصتها ؟..!

لا ... مستحيل ...!

إنه لا يؤمن بتلك الخرافات ...

هناك حتمًا تفسير ما ...

تفسير منطقى ...

أو علمى ...

أو ربما هو يحلم ...

ربما هو كابوس ما ...

قرص نفسه فى قوة ، فشعر بالألم فى وضوح ...

لا ... ليس كابوسًا ...

إنه مستيقظ بحق ...

« (حسنى) ... »

انتفض جسده مرة أخرى ، عندما سمع ذلك الصوت الأنثوى الناعم يناديه ، على نحو أشبه بالهمس ...

الصوت ناداه باسمه ممطوطًا ومسحوبًا ، وكأنما يأتى من أعماق سحيقة غائرة ...

« من هناك ؟..! »

هتف بها فى صوت ، أراده قويًا صارمًا ، ولكنه ، وعلى الرغم منه ، خرج من بين شفتيه مرتجفًا خائفًا ...

ومرة أخرى ، رأى ضوء الشمعة يقترب ، ويتسلل من فتحة الباب السفلى ...

وسمع اسمه يتردد على نحو أكثر وضوحًا ...

وأكثر عمقًا ...

ثم مر ذلك الظل ...

وكاد قلبه يتوقف ، كما توقف الظل أمام الباب ...

ومرة ثالثة ، تردد اسمه ...

وفى هذه المرة ، لم ينطق حرفًا واحدًا ...

فقد كان يرتجف ...

ويرتجف ...

ويرتجف ...

مستحيل ...!!

لا يوجد شىء اسمه عفاريت أو أشباح ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكن هناك شيء يقف عند باب الحجرة ...

ظل يتحرّك فى خفة ، مع ضوء شمعة ، وينادى اسمه ...

لماذا ؟..!

لماذا اسمه ؟!..

هل يدرك ذلك الشبح أنه تحداه ؟..!

هل جاء ليخيفه فقط ؟..!

أم لينتقم ؟..!

« (حسنى) ... »

تردَّد الصوت فى عمق كبير ، وعلى نحو ممطوط للغاية ، فارتجف جسده كله فى رعب ...

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وكاد قلبه ينخلع من صدره ...

فذلك الشيء فى الخارج ، يحاول فتح الباب ...

الأمر يتجاوز مرحلة التخويف إذن ...

ولا فائدة من إنكار الأمر ...

لابد له وأن ينجو بحياته ، ثم يدرس الأمر فيما بعد ...

ومن حسن الحظ أنه يقيم فى حجرة من حجرات الطابق الأرضى ، لها نافذة على الساحة الخارجية ...

تردَّد اسمه مرة جديدة ، جعلته يرتجف أكثر ، وهو يسير على أطراف أصابعه نحو النافذة ...

التقط مفاتيح سيارته من جيب سترته فى حذر ، قبل أن يفتح النافذة ، محاذرًا أن يصدر صوتًا عاليًا ...

ومن خلفه ، تحرَّك رتاج الباب أكثر ...

وبكل سرعته فتح النافذة ...

ووثب ...

ولم يكد يهبط على قدميه ، حتى أطلق لساقيه الرياح ، وراح يعدو بكل قوته نحو سيارته ...

ومن خلفه سمع ذلك الصوت يناديه ، ولكنه قفز فى سيارته ...

وانطلق مبتعدًا كالصاروخ ...

« لن يعود أبدًا يا باشا ... »

قالها (عويس) فى ثقة ظافرة ، فابتسم (عبد الجواد) ، ذلك الثرى البدين ، وهو يقول :

ــ أنا واثق من هذا .

بدا (عويس) مبهورًا ، وهو يقول :

ــ الشائعات التى طلبت سعادتك منى نشرها بالبلد ، و(بيومى) الذى حصل على مبلغ ضخم ؛ ليلعب دور المخبول ، وتلك الحيل التى قمت بها فى الدار ... كيف فعلت كل هذا يا باشا ؟!

اتسعت ابتسامة (عبد الجواد) :

ــ المال والتكنولوجيا يفعلان المستحيل يا (عويس) .

Looloo
www.looloolibrary.com

غمغم (عويس) :

ــ ولكننى لست أدرى لماذا تسعى لشراء دار فى مكان منعزل ، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منها يا باشا ..!!

التقط (عبد الجواد) نفسًا عميقًا ، وقال :

ــ هذا نعم المراد يا (عويس) ... ولكن من الصعب عليك أن تفهم .

اغتصب (عويس) ضحكة ، وهو يقول :

ــ (حسنى) باشا يروى للكل حكاية الجنية ، التى تتجول فى الدار بشمعتها ، والتى حاولت قتله ... كيف فعلتها يا باشا ؟!

حدّق فيه (عبد الجواد) بكل دهشته :

ــ جنية وشمعة ؟..! لم أفعل شيئًا من هذا !... من أين أتى (حسنى) بهذه الرواية ؟!

اتسعت عينا (عويس) عن آخرهما ...

« عبد الجوااااااد ... »

انعقد حاجبا (عبد الجواد) فى شدة ، مع سماعه اسمه يتردّد ممطوطًا ، بصوت أنثوى ناعم عميق ، وحدّق فى ذلك الظل ، على جدار صالة بيت العائلة ..

ظل امرأة تسير وكأنها تسبح فى الهواء ...

على ضوء شمعة .

* * *

9 ـ قلب حبيبى ..

« غدًا عيد الحب ... »

قالها (عماد) حبيبى فى رومانسية شديدة ، قبل أن يتحسَّس شعرى فى رقة ، مستطردًا فى حنان :

ــ ماذا تريدين كهدية لعيد الحب ؟!

أسندت رأسى على صدره ، واستمعت فى استمتاع إلى دقات قلبه ، قبل أن أهمس :

ــ أريد شيئًا واحدًا .

سألنى بكل الحب :

ــ مرينى يا حبيبتى .

اعتدلت ، وأشرت إلى صدره ، مجيبة :

ــ أريد قلبك .

ضمنى إليه فى حب ، وهمس فى أذنى :

ــ هو لك منذ البداية يا عشق روحى .

مرة أخرى أسندت رأسى إلى صدره ؛ لأستمع إلى أحب الأصوات إلى نفسى ...

دقات قلبه ...

Looloo
www.looloolibrary.com

قلب حبيبى ...

عدت إلى منزلى فى ذلك اليوم ، وأنا أستعيد كلماته فى سعادة ...

وأستعيد نبضات قلبه ...

غدًا هو يوم سعدى بالتأكيد ...

غدًا عيد الحب ...

وغدًا سأخبره بكل شىء ...

كل شىء ، بلا استثناء ...

رقدت فى فراشى مبتهجة ، أستعيد كل ذكريات عمرى ...

(عماد) ليس أوّل حبيب لى ...

ولكنهم أفضلهم ...

أوّل حبيب لى كان فارسًا بحق ...

شجاع ...

قوى ...

جرىء ...

ومقدام ...

أحببته بشدة ، وقضيت كل وقتى معه ...

وكانت أمتع لحظات حياتى هى عندما أسند رأسى إلى صدره ...

وأسمع دقات قلبه ...

قلب حبيبى ...

ثم بعده كان حبيب ثان ...

وثالث ...

ورابع ...

أكثر أحبائى حظًا ، لم يمض معى أكثر من عام ...

ولكن غدًا تكمل علاقتى بـ (عماد) عام ونصف ...

ألم أقل لكم إنه أفضلهم ؟...

أستلقيت فى فراشى طويلاً ، ولكن النوم أبى أن يزور عينىَّ ...

كنت أفكّر طوال الوقت ...

وانتظر الغد فى لهفة ...

والدقائق تمر بطيئة ...

والساعات لا تمضى أبدًا ...

ولهذا نهضت من فراشى ، وفتحت دولابى ، وأخرجت كل ثيابى ، وألقيتها على الفراش ؛ لأنتقى منها ثوبًا يناسب الغد ...

ولكنه لم يعد الغد ...

لقد أوشك الفجر أن ينبلج ...

ولكننى حتى لا أشعر برغبة فى النوم ...

فرزت ثيابى ثوبًا بعد الآخر ، وارتديت بعضها ، وتأملت نفسى فيه ، أمام تلك المرآة الطويلة فى حجرة نومى ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وأخيرًا ، ومع أوّل ضوء للشروق ، استقر أمرى على ثوب أحمر ، يناسب عيد الحب ...

ويناسب قلب حبيبى ...

شعرت بالارتياح ، عندما حسمت أمرى أخيرًا ، فخرجت إلى الشرفة ، استنشق هواء الصباح النقى ، الذى نادرًا ما يستنشقه المرء فى المدن ...

امتلأت نفسى بالانتعاش ، على الرغم من أننى لم أذق طعم النوم ، وشملنى حماس شديد ، فاتجهت إلى تلك الحجرة الحمراء الخاصة فى منزلى ، وفتحت دولاب تذكاراتى ، ووقفت أتأمّل ما فيه فى استمتاع ...

كل حبيب ارتبطت به ، حصلت منه على تذكار ...

وأنا أعشق التذكارات ...

أعشقها كتذكارات ...

وكفكرة ...

ترى هل يشاركنى (عماد) هذا الشعور ؟..!

لم أدر لماذا انتبهت ، فى هذه اللحظة فقط ، انتبهت إلى أننى لا أعرف الكثير عن (عماد) ...

عام ونصف ، ولم أعرف عنه إلا أقل القليل ...

الحديث دومًا يدور عنى ...

من النادر أن نتحدّث عنه ...

وهو لا يتحدّث عن نفسه أبدًا ...

ولا عن عمله ...

كل ما أخبرنى به ، هو أن عمله يتعلّق بنوع من الأبحاث العلمية ...

أبحاث الجينات حسبما أذكر ...

ولكنه لم يشرح أبدًا ما يعنيه هذا ...

وحسبما قرأت ، فتلك الأبحاث تتعلّق بتطوير البشر ، عبر إحداث تغييرات نوعية ، فى جيناتهم الأساسية ...

وبالنسبة لى ، هذا أمر بشع ...

لماذا يسعى الإنسان لتغيير نفسه ؟!..

لماذا لا يقبل بذاته كما هى ؟..!

حتى لو أنه يعانى من نقائص ...

أو عيوب ...

أو مشكلات عويصة ...

فهكذا هو ...

فلماذا ؟..!

لم أكن أميل كثيرًا إلى التعامل مع شبكة الإنترنت ، التى صارت أساسًا من أسس الحياة ، فى هذا الزمن ، إلا أننى قمت بالدخول إليها ، فى محاولة لفهم طبيعة عمل حبيبى ...

ولدهشتى ، كانت شبكة الإنترنت تحوى ملايين المعلومات عن الأبحاث الجينية ، على مستويات عديدة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم أدر من أين أبدأ ...!!

ثم خطرت ببالى الفكرة ...

فكرة ربط البحث عن الأبحاث باسم حبيبى ...

باسم (عماد) ...

ولقد فعلت ...

وبسرعة ، وجدت بحثًا قام هو بنشره ، منذ أقل من عام ...

بحث لم يخبرنى به قط ...

كان بحثًا علميًا ، حول إمكانية تفادى عمليات زرع واستبدال الكلى والكبد والقلب ، بالعلاج الجينى المباشر ...

والواقع أنه كان بحثًا شيقًا للغاية ...

ممتاز هو (عماد) هذا ...

استعدت صوت دقات قلبه ، قبل أن أتخذ قرارى ...

وعلى الفور ، نهضت أتصل به ، وما أن سمعت صوته نصف النائم ، على الطرف الآخر للخط ، حتى همست فى نعومة :

ـ صباح الحب يا حبيبى .

شعرت به وكأنه قد وثب من فراشه ، من فرط السعادة ، وهو يهتف :

ـ صباح أجمل حب يا حبيبتى ... حبك .

كدت أسمع صوت دقات قلبه عبر الهاتف ، وأنا أقول فى رقة :

ـ ما رأيك لو نحتفل بعيد الحب فى منزلى هذا العام ؟!

صمت لحظة ، تخيَّلت معها أنه يلهث من فرط المفاجأة والانفعال ، قبل أن يقول :

ـ أتسألينى عن رأيى ؟..! إنه حلم عمرى .

قلت بنفس الرقة والنعومة :

ـ سأعد كل شىء ... وسأنتظرك فى الثامنة .

هتف فى حب وحماس :

ـ لن أتأخر ثانية واحدة .

أنهيت الاتصال وأنا أشعر بنشوة عجيبة ، لم أشعر بمثلها منذ سنوات ...

وبكل همة ونشاط ، رحت أعد لحفل عيد الحب ...

واخترت اللون الأحمر لكل شىء ...

فكما أعشق التذكارات ، أعشق أكثر اللون الأحمر ...

اخترت مفرشًا أحمر اللون للمائدة ، ووضعت فى الشمعدان شموعًا حمراء ، وقضيت نصف اليوم فى إعداد كعكة من الفراولة ، وضعتها على المائدة ، ثم ارتديت الثوب الأحمر ...

وانتظرت ...

وفى تمام الثامنة ، وصل (عماد) ...

فتحت الباب ، فوجدته يقف مبتسمًا ، وقد أحضر باقة من الورد الأحمر ...

www.looloolibrary.com

ولكن شيئًا ما فى ابتسامته ، لم يرق لى ...

لم تكن ابتسامة محب ...

بل كانت أقرب إلى ابتسامة ذئب ...

ولكننى تجاهلت هذا ، وأنا أدعوه للدخول ، وتركته يقبل خدى فى رقة ، قبل أن يقول فى لهفة واضحة :

ــ فرحت جدًا ، عندما اقترحت أن نحتفل بالعيد هنا .

غمغمت فى قلق :

ــ أنت تعلم أننى أقيم وحدى .

مال على أذنى ، هامسًا :

ــ ولهذا فرحت .

عدت أنظر إلى عينيه وابتسامته ...

لقد كنت على حق ...

إنها عيون وابتسامة ذئب ...

ذئب انفرد بفريسته ...

سألته فى قلق :

ــ ماذا يدور فى ذهنك يا (عماد) ؟!

همس فى أذنى ، بصوت كالفحيح :

ــ سأخبرك فى الصباح ... يا حبيبتى .

ارتجف شىء ما فى كيانى ...

لقد فهمت ما يعنيه ...

يا للرجال ...!!

كلهم يحملون الجينات نفسها ...

جينات الغدر ...

حاولت أن أبتسم ، وأنا أقول :

ــ دعنا نأكل كعكة عيد الحب أولاً ، وبعدها سأريك دولاب تذكاراتى .

طبع قبلة ثانية على خدى ، وهو يهمس فى حرارة :

ــ ومتى ستريننى كنزك ؟!

قلت فى توتر ، حاولت أن أضفى عليه بعض الصرامة :

ــ تذكاراتى هى كنزى .

راح يغازلنى أثناء تناولنا الكعكة ، وبعدها مال لتقبيلى فى شفتىَّ ، فدفعته بكفى فى رقة ، وأنا أقول :

ــ شاهد تذكاراتى أولاً .

اعتدل مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ لا بأس ... دعينا نراها على الفور.

نهضت ، وقدته إلى حجرة تذكاراتى ، وأدهشه بشدة ذلك اللون الأحمر ، الذى طليت به جدرانها وسقفها ، وحتى أرضيتها ، وهتف ضاحكًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أتعشقين اللون الأحمر إلى هذا الحد ؟!

أجبته ، وأنا أفتح ضلفتى الدولاب الأحمر الكبير ، فى مواجهة باب الحجرة :

ـ إنه لون الحياة .

حدّق ذاهلاً فى تذكاراتى ، وشعرت بجسده ينتفض فى عنف ، وأنا أغرس خنجرى الأحمر فى عنقه ، مستطردة :

ـ والموت .

وقفت هادئة ، أراقب جسده وهو ينتفض على أرض الحجرة ، ثم ملت نحوه ، قائلة :

ـ لكى يظل التذكار نضرًا ، لا ينبغى الانتظار حتى توقّفه .

مع كلماتى ، شققت صدره ، ورأيت قلبه ينبض أمامى ...

ويا له من مشهد جميل ...

وبكل الحب ، انتزعت قلبه من جسده ، الذى انتفض انتفاضة أخيرة ، ثم همد تمامًا ...

لهذا اخترت الأرضية الحمراء ...

الدم لا يظهر على أرضية حمراء ...

وفى استمتاع ، وضعت قلبه فى وعاء جديد ، يحوى مادة حافظة ، ثم وضعته إلى جوار قلوب أحبائى السابقين ، الذين أحببتهم ، خلال الألف عام الماضية ...

هذا أضعف ما فى البشر ...

لا يمكنهم العيش دون قلوبهم ...

تراجعت خطوتين ، وأنا أنظر بكل الحب إلى القلب الجديد ، بين تذكاراتى الغالية ...

قلب حبيبى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

10 ـ أشباح ..

يا لهذا العبث ...!!

ما يحدث فى هذا المكان هو العبث بعينه ...

ولكنه لا يهتم ...

لن ينجحوا فى جذب انتباهه ، مهما فعلوا ...

فهو يعرف كل الحيل ...

كلها بلا استثناء ...

سار فى هدوء ، عبر أروقة القصر القديم ، مرورًا بتلك القاعة الواسعة الكبيرة ...

قاعة الموسيقى ...

هناك كانوا يرقصون ...

توقَّف ، وألقى نظرة خاوية عليهم ...

كانوا ينتمون إلى كل العصور ، التى مر بها القصر القديم ...

مماليك ...

فرنسيون ...

أتراك ...

إنجليز ...

وحتى مليونيرات آخر مرة ، تم سكنى القصر فيها ...

وبعدها لم يقطنه أحد ...

الرعب الذى أصاب آخر ساكنيه ، محا فكرة السكن فيه تمامًا ...

تابعهم بعض الوقت وهم يرقصون ...

كانوا يتوافقون على نحو عجيب ، على الرغم من أنهم ينتمون إلى عصور مختلفة ...

وقبل موتهم ، كانوا يتحدثون لغات مختلفة أيضًا ...

ولكن الموت يضع قواعد جديدة ...

الكل يتقارب ...

والكل يتحدَّث لغة واحدة ...

لغة الأشباح ...

هو نفسه اعتادها...

« ألن تشترك معنا ؟..! »

ألقى عليه كولونيل إنجليزى ، من ضحايا الحرب العالمية الثانية السؤال ، فأجاب فى شىء من البرود :

ـ ليس الليلة .

هزَّ الكولونيل الإنجليزى كتفيه ، وعاد يراقص مطربة فرنسية ، ثم إعدامها بالمقصلة ، بسبب علاقتها بجنرال ألمانى ...

Looloo
www.looloolibrary.com

توقَّف ليتابع الرقص قليلاً ، ثم واصل سيره ، فى اتجاه مكتبة القصر القديمة ...

فى نهاية الردهة ، شاهد فارسًا تركيًّا ، يحاول السير متوازنًا ، على حافة أريكة كبيرة ، فألقى نظرة لا مبالية عليه ...

يا له من عبث ...!!

الناس يخشون مجرَّد الاقتراب من هذا القصر؛ لأنه مسكون بالأشباح ...

ولا أحد يعلم أنها أشباح تافهة ...

مختلة ...

عابثة ...

أشباح تلهو وتعبث بلا هدف ...

أشباح لا تخيف من يعرفها ...

أو من يألفها ...

فى المكتبة وقف يتأمل صفوف الكتب ، المتراصة من الأرض إلى السقف ...

إنها ــ بالنسبة إليه ــ أعظم حجرة فى القصر كله ...

ولكن كل الذين امتلكوا القصر قديمًا أهملوها ...

جذب ذلك السلم المتحرك ، حتى ركن خاص من المكتبة ، وصعد بوساطته إلى الرف السابع العلوى ، واختار كتابًا ...

كتابًا عن الأشباح القديمة ...

طريف أن يحتفظ مالك القصر الأوَّل بكتاب عن هذا ...

هبط إلى أرضية المكتبة ، واتخذ مقعدًا وثيرًا ، واستعد للقراءة ...

« هل تقرأ هذا الكتاب دومًا ؟..! »

رفع عينيه فى هدوء إلى صاحبة الصوت ...

كانت تجلس أمامه مباشرة ، بعينيها الناعستين الهادئتين ...

تلك المطربة المصرية ، التى قتلوها فى حادث سيارة ...

ولأنه اعتاد ظهورها المفاجئ ، ابتسم مجيبًا :

ــ أحاول أن أعرف أكثر.

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ ولماذا الكتاب ؟..! الأشباح حولك فى كل مكان .

مطَّ شفتيه ، قائلاً :

ــ إنها أشباح عابثة ، لن تفيدنى بشىء .

سألته فى نعومة :

ــ هل حاولت ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وابتسم مغمغمًا :

ــ أعلم أنها لن تفيد.

تطلَّعت إليه لحظات ، قبل أن تميل بنصفها العلوى ، قائلة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ من أهم الأشياء التى تعلمتها ، فى حياتى الدنيوية القصيرة ، هو أن المظاهر تخدع دومًا .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ أرأيت ما يفعلونه طوال الوقت ؟!

هزّت كتفيها ، مجيبة :

ـ وأشاركهم فيه أحيانًا .

قال فى تحد :

ـ إذن !!

كانت تريد التقاط نفس عميق ، كما كانت تفعل فى الدنيا ، ولكن الأشباح لا تتنفّس ، ولهذا فقد مالت أكثر ، وهى تقول :

ـ ربما لأنه ليس لديهم هدف .

كاد يطلق ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

ـ هدف ؟..! إنهم أشباح !!

تراجعت فى مقعدها مبتسمة :

ـ حتى الأشباح ، يمكن أن يكون لها هدف .

أدار الأمر فى رأسه بسرعة ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ ماذا تتوقعين منى أن أفعل ؟!

بدا عليها الحماس ، وهى تجيب :

ـ أخبرهم أنك تريد معرفة المزيد عن عالم الأشباح ، وأنك تنشد تعاونهم ... ربما ستمنحهم بهذا الهدف ، الذى يحتاجون إليه .

عاد لتفكيره لحظات ، قبل أن يقول :

ـ كنت أتصوَّر أن الهدف ينتهى ، بعد المرور بحالة الموت .

عادت تهز كتفيها ، قائلة :

ـ معلومة جديدة تضيفها إلى معلوماتك عن عالم الأشباح إذن .

تراجع فى مقعده مفكرًا ...

أيمكن أن تكون على حق ؟!

هل يمكن أن يصبح للشبح هدفًا ؟..!

الأحياء يقولون : إنه لديهم هدف للحياة ...

ولكن ماذا عن الأشباح ؟..!

أيكون لديهم هدف للموت ؟!..

« هراء ... »

سمع العبارة ، بصوت خشن غليظ ، فاعتدل يحدّق فى ذلك المقعد ، الذى كانت تجلس عليه المطربة ...

ولكنها لم تكن هناك ...

كان يجلس بدلاً منها رجل قوى ، له لحية كبيرة ، ونظرات صارمة ، وعمامة ملكية ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ومن حزام وسطه ، يتدلى سيف تركى أصيل ...

وفى اهتمام ، سأله :

ـ لماذا ترى أنه هراء يا باشا ؟..!

أجابه فى صرامة :

ـ كل ما تفعله هراء ... لماذا تريد معرفة الجديد عن الأشباح ؟!

قال فى حدة :

ـ ولماذا لا ؟!

أجابه ، وهو يدق سطح المكتب بقبضته :

ـ لأنهم أشباح ... أدوا أعمالهم فى الدنيا ، وهنا يرتاحون .

مال نحوه ، يقول فى حزم :

ـ يبدو أن معلوماتك أنت عن الأشباح قليلة يا باشا .

أمسك سيفه فى غضب ، هاتفًا :

ـ كيف تجرؤ ...

لم يبال بغضبه ...

حتى سيفه ، لا يمكن أن يقتل أحدًا ..

لأنه سيف شبح ...

ولهذا تراجع فى مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أتعلم لماذا تبقى الأشباح عالقة بالدنيا يا باشا ؟!

احتفظ الباشا بملامح الغضب لحظات ، ثم عاد يجلس ، وهو يسأل :

ـ ماذا يقول الكتاب ؟!

لوّح بالكتاب ، مجيبًا :

ـ يقول : إن الشبح يبقى عالقًا بالدنيا ؛ لأنه هناك أمر لم يتمه بعد .

لوح الباشا بذراعه كلها :

ـ هذا هو الهراء بعينه ... كل مخلوق يموت ، وهناك أمور لم يتمها بعد .

مال نحوه ، يسأله فى تحد :

ـ لماذا يبقى البعض ، ويرحل البعض إذن ؟!

صمت الباشا مفكرًا لحظات ، ثم هز كتفيه :

ـ لست أدرى .

مال أكثر ، قائلاً :

ـ ربما لأنه ما زال لوجودهم هدف .

كان الباشا يريد أن يكابر ، إلا أنه كشبح ، لم يكن بإمكانه هذا ، فغمغم :

ـ ربما ...

« قم بما عرضته عليك إذن ... »

ظهرت المطربة فجأة ، خلف مقعد الباشا ، وهى تقول هذا ، فالتفت إليها الباشا فى بطء :

ـ أنت تؤيدينه إذن ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

قالت فى رقة :

ــ وماذا سنخسر ؟!

تأملها الباشا لحظات ، قبل أن يقول بنفس الخشونة الغليظة :

ــ كان الأفضل أن ننتمى إلى عصر واحد ، فى حياتينا .

ضحكت ، قائلة :

ــ كنت بالنسبة لى تاريخًا مشرِّفًا .

اعتدل هو ، قائلا فى اهتمام :

ــ هذه حقيقة جديدة عن الأشباح ... المشاعر تبقى .

التفت إليه الباشا فى صرامة :

ــ ولكنها تختلف ... هى هنا مشاعر صرفة ، ليس فيها شهوات .

قال مبتسمًا :

ــ لأنه ليس هناك جسد .

هزَّت المطربة كتفيها كعادتها :

ــ وليست هناك نزوات .

أشار إلى الباشا ، قائلاً :

ــ ولكن الباشا شعر نحوك ، بما يشعر به الرجل نحو المرأة .

هتف الباشا فى غضب :

ــ أنت وقح .

لم يبال بغضبه ، وهو يقول :

ــ حتى الغضب ، هو إثبات على بقاء المشاعر .

نهض الباشا ، وسحب سيفه الفضى ، وهو يقول فى صرامة :

ــ تستحق قطع رقبتك لهذا .

ابتسم فى لا مبالاة :

ــ لا يمكنك قطع رقبتى يا باشا .

قال الباشا فى حدة :

ــ ولِمَ لا ؟!

أجابه بنفس الهدوء :

ــ لأنك مجرّد ... شبح .

أطلقت المطربة ضحكة عابثة قصيرة ، قبل أن تشير بكفها فى رقة :

ــ ولأنه هو أيضًا شبح .

ابتسمت فى هدوء ...

نعم ... أنا شبح ...

شبح حديث ، فى عالم الأشباح ...

ولهذا أريد أن أعرف أكثر عن عالمى الجديد ...

وعن الأشباح .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

11 ـ بالسيف ..

التمعت عيناه ببريق جنونى ، وهو يقف ممسكًا سيفه ، أمام ذلك الكهل ، الذى راح يرتجف فى رعب ، وهو يهتف باكيًا :

ـ الرحمة .

زمجر كالوحوش ، وهو يصرخ فيه فى شراسة :

ـ لا رحمة مع أمثالكم .

بكى الكهل فى مرارة ويأس ، وهو يقول :

ـ ماذا فعلت بك ، حتى تعاملنى بهذه القسوة ؟!

صرخ فى وحشية :

ـ ترفض اتباع آرائى وأفكارى .

هتف الكهل :

ـ أهذه جريمة ؟..! الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما خلق البشر خلق لكل منهم إرادة منفـردة ، وسيحاسب ـ جلَّ جلاله ـ كلاً منهم على نحو منفرد ... الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أراد النـاس مختلفين ، فكيف تتحـدى إرادة المنتقم الجبار ؟..! كيف ؟!

بدا كالوحش المجنون ، وهو يصرخ :

ـ إرادته هى إرادتى .

صاح الكهل فى انهيار :

ـ أى أحمق وضع هذا فى رأسك وقلبك ؟..! بل أى مجنون ؟!

احتقن وجهه ، حتى صار أشبه بنسخة بشرية من الشيطان ، وهو يصرخ :

ـ كيف تجرؤ أيها الـ ...

وقبل حتى أن يتم صرخته ، هوى بسيفه على عنق الكهل ...

وتناثرت الدماء فى كل اتجاه ...

تناثرت على ثيابه ...

ولحيته ...

وحتى فمه ولسانه ...

ولكنه لم يبال ...

لقد صار بالفعل أشبه بالوحوش الضارية ...

ذاق طعم الدم ...

وتلذَّذ به ...

وعشقه ...

ومع السيف ، الذى يحمله بيديه ، يشعر بالقوة ...

فالسيف بتار ... يقطع ويبتر ...

والسيف هو العزة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

والقوة ...

والسطوة ...

والبأس ...

لم يبال بالدم الذى يغرقه ، وهو يركل رأس الكهل فى ازدراء ، وكأنه ليس بشرًا مثله ، ثم ينتقل إلى شيخ طاعن فى السن ، بدا شديد الهدوء ، على الرغم من القيود القوية ، التى تربط معصميه خلف ظهره ...

وأولئك الذين لا يخافون يثيرون أعصابه ...

متعته الأساسية فى الحياة ، هى أن يرى الناس ترتجف أمامه ...

تخاف ...

تفزع ...

تشعر بالعجز فى مواجهته ...

ويا لها من متعة ...

« ألا تخشانى أيها الشيخ ؟..! »

صرخ بها فى شراسة وحشية ، إلا أن الشيخ ظل هادئًا ، وهو يجيب :

ــ لست أخشى إلا الله سبحانه وتعالى .

عاد يصرخ ، فى شراسة وحشية أكثر ، وهو يقرن صرخته بتلويحة تهديد من سيفه :

ــ إياك أن تذكر اسمه .

وبدلاً من الخوف ، حملت شفتا الشيخ ابتسامة ساخرة ، وهو يقول بنفس الهدوء :

ــ أتظنه حكرًا عليك ؟!

اتسعت عيناه واحمرتا ، وهو يصرخ :

ــ أتجرؤ .

بدت لهجة الشيخ متحدية ، وهو يقول :

ــ وماذا يمنعنى ؟..! الخوف ؟..! على ماذا ؟!... وعلى من ؟..! الوحش فى أعماقك قتل كل ما كنت أبالى به فى الحياة ... الجمال ، والسعادة ، والهدوء ، والأسرة ، والاستقرار والأمان ... قتلتها مدعيًا أنك تقاتل من أجل رسالة نبيلة .

زمجر فى جنون صارخًا :

ــ إنها كذلك .

اتسعت ابتسامة الشيخ الساخرة ، وهو يقول :

ــ شيطانك ساذج حقير ، لو تصور أن مخلوقًا عاقلاً واحدًا يمكن أن يصدّق أن القتل والتعذيب والوحشية والبذاءة والشراسة والكذب والغش والخداع هى وسائل رسالة نبيلة ...

الشيطان زيَّن لك شروره ؛ لترتكبها من أجله ، مدعيًا أنها رسالة نبيلة .

احتقن وجهه أكثر ، ولوَّح بسيفه ، صارخًا :

ــ إنها أشرف رسالة .

Looloo
www.looloolibrary.com

قال الشيخ فى هدوء :

ـــ وأحقر مقاتل .

ارتفع غضبه ، وهو يميل نحو الشيخ ، صارخًا كالوحش الكاسر :

ـــ سأقطع رأسك ، وأبول عليها .

هزَّ الشيخ رأسه فى لامبالاة ، قائلاً :

ـــ لقد بلغت من العمر أرذله ، وفقدت عائلتى كلها على يديك ، ويدى الشياطين أمثالك ، ولا بأس من أن تفعل برأسى ما تريد ، بعد أن تقطعه ؛ فلا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها... وكلما زادت وحشيتك فى التمثيل بجثتى ، زاد إيمان الناس بأنك من أتباع الشيطان ، ولست من المدافعين عن الله عزَّ وجلَّ ...

كان الشيخ عاجزًا ، مقيدًا ، مسلوب الإرادة أمامه ...

ولكنه شعر بالخوف منه ...

وياله من خوف ...!!

هو الذى يحمل السيف ...

وهو الذى يرتجف خوفًا ...

وكما علمه قادته ، يوجد سبيل واحد لقهر هذا الخوف ...

القوة ...

وبكل قوته ، رفع السيف إلى أعلى ما يستطيع ، صارخًا :

ـــ ستموت أيها الشيخ .

لم يبد أدنى خوف على الشيخ ، وهو يقول :

ـــ من عاش بالسيف مات بالسيف .

تجمَّدت يده فى الهواء ، واتسعت عيناه ...

أى شيخ هذا ؟..!

وأية كلمات ...!!

بكل عصبية ، هتف :

ـــ أى قول مأفون هذا ؟!

مال الشيخ نحوه ، وابتسم ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـــ أنت ستقتلنى بسيفك ... ولكن كيف ستموت أنت ؟!

ارتجف مرة أخرى ، وهو الذى يحمل السيف ...

ثم قرَّر تطبيق قاعدة قادته ...

ورفع سيفه إلى أعلى أكثر ...

وبكل قوته ، هوى به ...

لكن ارتفاع السيف الزائد ، كانت له تداعياته ...

لقد قطع أحد الأحبال الرئيسية ، التى تربط العروق الخشبية بالسقف ...

وهوى عرق خشبى ضخم ثقيل ...

وكان المشهد عجيبًا ...

كان أشبه بمشهد تم إعداده بدقة بالغة ، فى فيلم سينمائى عالى التكلفة ...

Looloo www.dvd4arab.com

فالعرق الخشبى هوى ، عندما انحنى هو؛ ليضرب عنق الشيخ ...

وارتطم العرق الخشبى بظهره ...

بمنتصف عموده الفقرى تمامًا ...

وسمع الشيخ صوت عظام تنكسر ...

وشعر هو بآلام رهيبة فى ظهره ...

وبفقدان الشعور تمامًا ، فى نصفه السفلى ...

أما سيفه ، فقد طار فى الهواء ...

ثم هوى بدوره ...

كانت يداه ممدودتان أمامه ، كحركة غريزية ، يقوم بها المرء مع سقوطه ...

واختار السيف هدفه بدقة ...

أو أن القدر هو الذى اختار المسار ...

وبمنتهى الدقة ...

فالسيف هوى بحافته الحادة على معصميه ...

وبتر كفيه فى ضربة واحدة ...

وصرخ هو فى ألم ورعب ...

صرخ ...

وصرخ ...

وصرخ ...

واندفعت الدماء من كفيه المقطوعين ، تصنع من حوله بحيرة حمراء قانية ...

وفى هدوء ، تطلع إليه الشيخ ...

فى هدوء لا يحمل أية مشاعر ...

على الإطلاق ...

أما هو ، فقد أصابته حالة ، لم يتصور أن يصاب بها قط ...

حالة من الألم ...

والعجز ...

والشلل ...

والضعف ...

والخوف ...

والرعب ...

والانهيار ...

الضربة ، التى أصابته فى ظهره ، كسرت عموده الفقرى ، وقطعت حبله الشوكى ...

وأصابته بالشلل ...

شلل دائم ، لا علاج له ، فى نصفه السفلى ...

وثقل العرق الخشبى يثبته فى الأرض ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وكفاه مبتوران ...

إنها حالة تناقض ما قاتل من أجله طيلة عمره ...

حالة ضعف ...

تام ...

وفى يأسه وانهياره هتف :

ـ الرحمة يا رب العالمين .

تطلع إليه الشيخ ، بتلك النظرة الخاوية ، ثم زحف فى بطء ، حتى بلغ السيف ، الذى ما زال ملوثًا بالدم ...

وفى هدوء ، استدار يلتقط السيف ، ويستخدم حافته لقطع قيوده ...

وراقبه هو فى فزع وارتياع ، مغمغمًا :

ـ هل ستقتلنى ؟!

نهض الشيخ واقفًا على قدميه ، بعد أن تخلَّص من قيوده ، وتطلَّع إليه لحظات ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ ما فعلته بعائلتى يستحق القتل فعلاً .

اتسعت عيناه فى ذعر ، ولكن الشيخ ألقى السيف ، مستطردًا :

ـ ولكننى لن أفعل .

شعر بدهشة ، ارتجف لها جسده ، وهو يغمغم :

ـ هل ستعفو عنى ، بعد كل ما فعلته ؟!

ابتسم الشيخ ، قائلاً :

ـ ولا هذا أيضًا .

حدَّق فيه حائرًا متألمًا ، ولكن الشيخ أشار إلى الرءوس المقطوعة من حوله ، وهو يستطرد :

ـ بعد قليل سيحل الظلام ... ورائحة دماء الرءوس ، التى قطعتها بسيفك ، ستجذب كل حيوانات وقوارض المنطقة .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتصوَّر الميتة البشعة ، فى حين التقط الشيخ نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ سبحان الله ... من عاش بالسيف مات فعلاً بالسيف ... بسيفه .

ثم التقط عصاه ، وغادر المكان فى هدوء ، وترك بابه مفتوحًا ...

واتسعت عيناه هو بكل الرعب ...

فهناك فى الركن ، كان هناك زوج من الأعين يحدَّق فيه ...

لقد جذبت رائحة الدم قوارض ووحوش المنطقة بالفعل ...

وسينعمون هذه الليلة بوجبة كبيرة دسمة ، تكفى الكل ...

وجبة من وحش عاش بالسيف ...

ومات بنفس السيف ...

مائة مرة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

12 ـ جـــن ..

« أنت إذن تقوم بتحضير الجن ... »

قالها ذلك القادم ، فى سخرية ملحوظة ، فرفع الدكتور (فهمى) عينيه إليه ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

ـ لا تسخر مما تعجز عن فهمه يا هذا .

اتسعت ابتسامة الرجل الساخرة ، وهو يقول :

ـ أتفهمه أنت ؟!

اعتدل الدكتور (فهمى) ، وعدّل منظاره الطبى على أنفه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أنت تقف أمام أشهر عالم ، فى فيزياء ما فوق الطبيعيات ، فى جميع المحافل العلمية ...

هزّ الرجل كتفيه فى استهتار ، وجلس دون أن يدعوه الدكتور (فهمى) لهذا ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ لا داع لتقديم نفسك ... لقد حضرت كل محاضراتك.

قال الدكتور (فهمى) فى دهشة :

ـ كلها ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا :

ـ نعم ... كلها .

جذب الدكتور (فهمى) نفسًا عميقًا ، كمن يستعد لخوض نزال ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل !.... عمليًّا .

هزّ الرجل كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ولم ؟!

أجابه الدكتور (فهمى) متحديًا :

ـ أنا ألقى محاضراتى منذ نصف قرن ، وعمرك ـ حسبما يبدو ـ ولم يتجاوز الأربعين بعد.

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ شبكة الإنترنت صارت أشبه بآلة زمن.

غمغم الدكتور (فهمى) فى حذر :

ـ أتعنى أن ...

قبل أن يتم تساؤله ، أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وأكمل :

ـ نعم ... لقد طالعت كل محاضراتك ، على شبكة الإنترنت .

صمت الدكتور (فهمى) يتأمله لحظات ، قبل أن يسأله :

ـ ولماذا تهتم بالجن ، ما دمت لا تؤمن بوجودهم ؟!

ابتسم الرجل ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ على العكس ... أنا أؤمن بوجودهم تمامًا .

تراجع الدكتور (فهمى) فى دهشة :

ـ ماذا إذن ؟!

بدت له ابتسامة الرجل مخيفة ، وهو يقول :

ـ أنا أؤمن بالجن ، ولكننى لا أؤمن بك أنت .

التقى حاجبا الدكتور (فهمى) ، وهو يغمغم فى حذر شديد :

ـ لماذا أنت هنا إذن ؟!

لوَّح الرجل بذراعه كلها :

ـ لأكشفك .

حدَّق به الدكتور (فهمى) لحظات مستنكرًا ، ثم تراجع فى مقعده ، مرددًا :

ـ تكشفنى ؟..! أنت ؟!

اعتدل الرجل فى حركة حادة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولن تكون أول من أكشف خداعه .

تأمَّله الدكتور (فهمى) لحظات فى صمت ، ثم عقد كفيه أمامه ، وتراجع فى مقعده ، وهو يقول :

ـ أرنى كيف ستفعل ؟!

ابتسم الرجل ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ـ أرنى أنت ما تفعله .

صمت الدكتور (فهمى) لحظات أخرى ، ثم قال :

ـ ماذا أخبروك أننى أفعله ؟!

أجابه فى تحد :

ـ تدَّعى تحضير الجن.

هزَّ الدكتور (فهمى) رأسه نفيًا فى بطء :

ـ لم أدع هذا قط .

عاد الرجل يتراجع فى مقعده :

ـ قلت : إنك خبير فى عالم الجن .

أومأ الدكتور (فهمى) برأسه إيجابًا :

ـ هذا صحيح .

قهقه الرجل ضاحكًا فى سخرية ، قبل أن يقول :

ـ وكيف لك هذا ؟..! هل التقيت شخصيًا بأحد من الجن من قبل ؟!

التقط الدكتور (فهمى) نفسًا عميقًا وقال فى صبر :

ـ ما من عالم فلكى غاص بنفسه فى قلب الشمس ، ولكن عشرات من علماء الفلك ، يستطيعون أن يصفوا بدقة ما يحدث فى قلب الشمس .

أشار الرجل بيده ، قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ فارق كبير بين هذا وذاك؛ فالشمس يمكن رؤيتها ، بوساطة المناظير الفلكية ، ومقاييس الطيف ، والنماذج ثلاثية الأبعاد ، وهذا لا ينطبق على عالم الجن .

استغرق الدكتور (فهمى) فى التفكير لحظات ، قبل أن يقول :

ـ وماذا عن قلب الذَّرة ؟..! جسيمات عديدة تم وصفها بدقة ، قبل أن تراها الميكروسكوبات الإليكترونية بأعوام .

قال الرجل متحديًا :

ـ كانت هناك حسابات رياضية .

هتف الدكتور (فهمى) فى ظفر :

ـ وهذا ينطبق على عالم الجن .

نهض الرجل ، يقول فى حزم صارم :

ـ مستحيل !... لأنه ما من معطيات أوَّلية ، يمكن استخدامها ؛ لوضع القوانين الأساسية ... بل ليس هناك من رأى الجن فعليًا .

أجابه الدكتور (فهمى) فى سرعة :

ـ سيدنا (سليمان) عليه السلام فعل .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ إنه نبى ... ثم إنه لم يمنحنا أية معطيات أساسية .

رفع الدكتور (فهمى) سبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ فى هذا تخطئ ، وتثبت جهلك يا رجل ... قصة سيدنا (سليمان) أعطتنا الكثير من المعلومات والمعطيات الأساسية ، عن عالم الجن .

بدا الاهتمام على الرجل ، وهو يعاود الجلوس ، متسائلاً :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابه الدكتور (فهمى) ، وقد راوده شعور بقرب الانتصار :

ـ مثل أن تواجد الإنس والجن فى مكان واحد ممكن ، كما كان فى بلاط (سليمان) عليه السلام ، وهم يتباحثون فى شأن عرش (بلقيس) .

تراجع الرجل فى مقعده ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ هذا صحيح .

واصل الدكتور (فهمى) فى حماس :

ـ الواقعة تثبت أن لديهم علومًا متطورة ؛ بدليل أن أحدهم قال : إنه يستطيع أن يأتى بعرش (بلقيس) ، قبل أن يقوم سيدنا (سليمان) عليه السلام من مكانه .

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا أمر بسيط .

مال الدكتور (فهمى) نحوه ، مردفًا فى حماس :

ـ وهم ليسوا خارقين أو منيعين ؛ لأنه عليه السلام كان يعاقبهم ، وليست لديهم قدرة على معرفة الغيب ؛ لأنه عندما مات ، لم يعلموا إلا عندما أكل النمل عصاه .

Looloo
www.looloolibrary.com

ران الصمت عليهما لحظات ، ثم قال الرجل فى استخفاف :

ـ أهذا كل ما تستند إليه ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (فهمى) ، وهو يغمغم :

ـ هناك أمور أخرى ، تعجز عن فهمها .

انطلقت ضحكة الرجل عالية ، ساخرة ، مستفزة ، قبل أن ينظر إلى الدكتور (فهمى) ، قائلاً :

ـ أمور أعجز عن فهمها !!... نفس ما سمعته من كل النصابين .

انتفض جسد الدكتور (فهمى) ، وهو يقول :

ـ إياك أن تصفنى بهذا .

نهض الرجل فى حركة حادة ، وهو يقول فى شراسة :

ـ بم ينبغى أن أصفك إذن ؟..! بأنك محتال ؟..!

هتف الدكتور (فهمى) :

ـ لست محتالاً .

اقترب منه الرجل :

ـ بم تصف نفسك إذن ؟!

صاح الدكتور (فهمى) ، وهو يتراجع :

ـ أنا أحد أشهر علماء هذا المجال .

اقترب الرجل أكثر ، وهو يقول فى لهجة مخيفة :

ـ أى مجال ؟..! خداع الجهلاء ؟!

تراجع الدكتور (فهمى) ، وهو يقول فى توتر :

ـ من أنت ؟..! وماذا تريد منى ؟!

واصل الرجل اقترابه ، وحملت عيناه لمحة وحشية ، وهو يقول :

ـ أخبرتك من قبل ... أنا خبير فى كشف أمثالك ؟!

هتف الدكتور (فهمى) ، وهو يلتصق بالجدار :

ـ قلت لك : إننى عالم محترم .

اقترب الرجل منه ، حتى صارت أنفاسه تختلط بأنفاس الدكتور (فهمى) ، ووضع راحتيه على الجدار ، إلى يمين رأسه ويساره ، وهو يقول فى شراسة عجيبة :

ـ كلهم قالوا هذا .

ازدرد الدكتور (فهمى) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول فى صوت مبحوح :

ـ سأستدعى الأمن .

قال الرجل فى تحدٍ :

ـ افعل .

غمغم فى توتر شديد :

ـ سيتهمونك بالاعتداء على أستاذ جامعى ، أثناء تأدية عمله .

www.looloolibrary.com

ابتسم الرجل فى سخرية مرعبة :

ــ ليس لديك عمل اليوم ... لقد راجعت جدولك ، ولست أدرى حقًا ماذا تفعل هنا !!

شعر الدكتور (فهمى) بتوتر شديد يسرى فى كيانه ، وهو يغمغم فى صوت مبحوح :

ــ ما تفعله يندرج تحت بند مخالفة القانون .

اتسعت ابتسامته الشرسة المخيفة :

ــ وماذا عما تفعله أنت ؟!

ثم مال نحوه أكثر :

وأكثر ...

وأكثر ...

وضاقت عيناه فى شدة ...

و ...

« ماذا فعلت أيها التعس ؟..! »

هتف بها الجنى ، المسئول عن العلاقات البشرية ، فغمغم الواقف أمامه فى صرامة :

ــ لقد استفزنى .

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه أضاف فى عصبية :

ــ وتحدانى .

قال مسئول الجن فى غضب :

ــ أيعنى هذا أن تحرقه ؟!

قال الواقف أمامه فى عصبية :

ــ لم يكن أمامى سوى هذا ... ولكن اطمئن ... جثته احترقت عن آخرها ، ولم يبق منها أثر .

قال المسئول فى حدة :

ــ وماذا لو أنه هناك آخرون ؟!

لم يجب ، فاستطرد المسئول فى صرامة :

ــ هذا تحذير أخير لك ، أيها الجنى المشاغب ... إياك أن تقدم على حماقة أخرى ، وإلا كان هذا نهاية وجودك على الأرض .

أومأ برأسه ، دون أن يجيب ، فأشار مسئول الجن بيده ، صائحًا :

ــ هيا ... عد ... واعتبر هذا إنذارك الأخير .

التقط نفسًا عميقًا ، واستدار يواجه الجدار ...

عليه أن يكون حذرًا فى المرات القادمة ...

وأن يتمالك أعصابه ...

عبر الجدار فى خفة ، استعاد بعدها هيئته البشرية ، التى اعتادها ...

هيئة الدكتور (فهمى) .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

13ـ فى القبر ..

حدَّق (شحاتة) فى وجه زميله (نجاتى) فى ذهول مستنكر ، وهما يجلسان على ذلك المقهى الشعبى الصغير ، فرفع (نجاتى) سبَّابته إلى شفتيه ، محذرًا (شحاتة) من ارتفاع صوته ، فخفض هذا الأخير صوته بالفعل ، وهو يقول فى حدة :

ـ أنت مجنون حتمًا .

التقط (نجاتى) نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه فى الهواء فى بطء ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ بل أنا عاقل تمامًا .

خفض (شحاتة) صوته فى صعوبة ، مع الانفعال الجارف ، الذى يشعر به ، وهو يقول فى عصبية :

ـ عاقل ؟!... تريدنا أن ننبش قبرًا ، ونقتلع أسنان ميت ، وتقول : إنك عاقل !!

نفث (نجاتى) دخان سيجارته مرة أخرى فى عصبية ، بذل جهدًا خرافيًا للسيطرة عليها ، قبل أن يميل نحو (شحاتة) قائلاً :

ـ أوَّلاً : فكرة نبش القبور هذه فكرة قديمة ... كل ما سنفعله هو أن نفتح باب مقبرة ، ونهبط فى درجات سلمها ، إلى حيث ترقد الجثث ، ونعثر على جثة الحاج (رضوان) .

تراجع (شحاتة) مصعوقًا :

ـ الحاج (رضوان) ؟..! صاحب معرض السيارات ؟..! الرجل مات بالأمس فقط ..!!

مال (نجاتى) نحوه أكثر ، وهو يقول :

ـ ولهذا لا بد وأن نتحرَّك فى سرعة ، قبل أن يسبقنا أحد .

غمغم (شحاتة) :

ـ يسبقنا ؟!

ثم ارتفع صوته ، على الرغم منه ، وهو يهتف :

ـ ولماذا يسبقنا أى عاقل إلى هذا ؟!

رفع (نجاتى) سبَّابته إلى شفتيه مرة أخرى ، وتلفَّت حوله فى قلق ، خشية أن يكون أحد من رواد المقهى قد انتبه إليهما ، ومال مرة أخرى نحو (شحاتة) ، قائلاً فى صرامة :

ـ قم ... سنكمل حديثنا فى مكان أكثر هدوءًا .

وبينما يسيران بمحاذاة كورنيش النيل ، فى منطقة هادئة ، أكمل (نجاتى) :

ـ الأسنان التى تتحدَّث عنها ليست أسنانًا عادية ... الحاج (رضوان) كان يتباهى بأن نصف أسنانه من الذهب ، وعندما كان يبتسم ، كانت سنته الذهبية الأمامية تلتمع ، تحت أشعة الشمس .

بدا (شحاتة) مبهورًا ، وهو يقول :

ـ أسنان من ذهب ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

أدرك (نجاتى) أنه يقترب من هدفه ، فلوَّح بكفيه ، قائلاً فى لهجة مغربية :

ـ لقد بحثت على شبكة الإنترنت ، وعلمت أن أسنان الشخص البالغ ، يبلغ عددهـا اثنتين وثلاثين ... والضروس أثقـل حتمًا من الأسنان ... وهذا يعنى أننا سنحصل على ست عشرة قطعة ذهبية ، من فم الحاج (رضوان) .

سأله (شحاتة) فى لهفة :

ـ وكم سيبلغ ثمنها فى رأيك ؟!

ابتسم (نجاتى) فى ظفر ، وهو يجيب :

ـ خمسة آلاف على الأقل .

التمعت عينا (شحاتة) ، وهو يسأل ، ولعابه يسيل :

ـ وكم سيبلغ نصيبى منها ؟!

كان (نجاتى) ينوى اقتسام المبلغ معه مناصفة ، ولكن سؤاله جعله يجيبه فى حزم :

ـ الفان .

التمعت عينا (شحاتة) أكثر ، ولكن سرعان ما خبت التماعهما ، وهو يقول فى صوت مرتجف :

ـ ولكن أن تدخل قبر شخص حديث الوفاة ...

هتف به (نجاتى) فى حدة :

ـ وما الفارق ؟!

تطلَّع إليه (شحاتة) فى تساؤل حائر مرتجف ، فتابع بنفس الحدة :

ـ ما الفارق بين شخص حديث الوفاة ، وآخر قديم الوفاة ؟... كلاهما موتى أيها الغبى .

تراجع (شحاتة) مغمغمًا :

ـ نعم .. ولكن ...

لم يشأ (نجاتى) أن يمنحه فرصة للتراجع ، فاستدار يوليه ظهره ، ويسير مبتعدًا عنه ، وهو يقول فى حدة :

ـ فليكن يا (شحاتة) ... سأبحث عن شخص آخر ، يفوز بالـ ...

« انتظر ... »

هتف بها (شحاتة) فى ذعر ، خشية أن يفقد المبلغ ...

وبعد ساعة واحدة ، كان الاثنان فى منطقة المقابر ...

وأمام ضريح الحاج (رضوان) مباشرة ...

« إننى أرتجف ... »

همس بها (شحاتة) فى رعب ، فأجابه (نجاتى) فى ازدراء :

ـ اهدأ ... إنهم موتى ... لم نسمع يومًا عن ميت آذى حيًّا .

قالها ، وهو يتسلَّق سور الضريح ، ثم يهبط داخله ، فحدَّق فيه (شحاتة) فى رعب ، عبر الباب الشبكى المعدنى ، فصاح فيه فى خفوت :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ماذا تنتظر ؟!

استنفر (شحاتة) كل طمعه وإرادته ، وألقى حقيبة الأدوات عبر السور ، ثم تسلقه ، وهبط على الجانب الآخر ...

« سنرفع بلاطة الأسمنت أولاً ... »

كان جسد (شحاتة) يرتجف ، ولكنه ساعد (نجاتى) على رفع بلاطة الأسمنت الثقيلة ، والاثنان يحرصان على عدم إصدار أى صوت ...

وانفتح القبر أمامهما ...

ومنه انبعثت رائحة رطبة عفنة ، جعلت (شحاتة) يتراجع ، ويطلق شهقة رعب ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ...

وفى صرامة وغضب وخفوت ، هتف به (نجاتى) :

ـ كف عن حماقاتك هذه ، وناولنى المصابيح اليدوية .

وفى جرأة ، هبط (نجاتى) إلى داخل القبر ، وهو يضىء طريقه بمصباحه اليدوى ، ولحق به (شحاتة) وهو يرتجف ...

فكرة التواجد داخل قبر ليلاً كانت تخيفه ...

أو ترعبه ...

أو هى فى الواقع ... تقتله ...

هبط فى درجات السلم درجة بعد درجة ، مع مساحة زمنية غير قليلة ، بين كل درجة وأخرى ...

« هل سنقضى الليل كله هنا ؟..! »

هتف به (نجاتى) فى غضب ، فانتفض جسده رعبًا ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، حتى أن توازنه اختل ، وسقط داخل المقبرة ، و ...

والتقطته يد (نجاتى) ، قبل أن يقع ...

« ماذا أصابك ؟..! »

هتف به (نجاتى) فى غضب ، فانتفض جسده مرة أخرى :

ـ لقد ... لقد انزلقت ...

نظر إليه (نجاتى) فى غضب ، وضوء مصباحيهما اليدويين يتراقصان على جدران وأرضية المقبرة ، ويصنعان ظلالاً هائلة مخيفة ، جعلت (شحاتة) يحبس أنفاسه بكل الرعب ...

« اسمعنى جيدًا يا (شحاتة) ... »

قالها (نجاتى) ، وهو يكظم غيظه وغضبه فى صعوبة ...

وكم تمنى لحظتها أن يقتل (شحاتة) ، ويبقيه مع الموتى فى المقبرة ...

فهو يدرك أن هذا الأحمق سيفسد عمله حتمًا ...

إن لم يكن الآن ، ففيما بعد ...

بهذه الأعصاب الضعيفة ، لن يلبث أن ينهار حتمًا ...

إن آجلاً أو عاجلاً ...

وعندئذ سيفشى السر ...

وستكون النهاية ...

Looloo
www.looloolibrary.com

لهذا خطَّط منذ البداية للتخلص منه بعد الحصول على الأسنان الذهبية ...

ولهذا اختاره من الأساس ...

ولولا احتياجه لشريك يرفع معه البلاطة الإسمنتية الثقيلة ، ويعيدها معه إلى موضعها ، لما اختاره ...

« هل سمعت يومًا عن ميت ، عاد إلى الحياة ؟..! »

ألقى السؤال فى وجه (شحاتة) مباشرة ، فارتجف جسده ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، مغمغمًا :

ــ لم أسمع ... ولكن ...

قاطعه فى صرامة :

ــ ولكن ماذا ؟!..

أدار (شحاتة) عينيه فيما حوله مرة أخرى ، على ضوء مصباحه ، ثم غمغم فى توتر :

ــ ربما ...

عاد (نجاتى) يقاطعه فى حدة غاضبة :

ــ ربما ماذا ؟..! عد إلى رشدك يا هذا ... الموت هو نهاية مشوار الحياة ... لا أحد يعود من الموت ، إلا فى أفلام الخرافات السخيفة .. فى الحياة لم يفعلها أحد ... هل تفهم ؟..! لم يفعلها أحد قط ...

غمغم (شحاتة) فى رعب :

ــ نعم ... أفهم .

جذبه (نجاتى) من قميصه ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ والآن ... هل تتذكر ما سنفعله ؟!

أجابه (شحاتة) مرتجفًا :

ــ سنشق الأكفان ، حتى نعثر على جثة الحاج (رضوان) .

سأله (نجاتى) فى شراسة :

ــ ثم ماذا ؟!

ارتجف أكثر ، وهو يقول :

ــ نستخدم الأداة التى أحضرناها ، لاقتلاع كل سن أو ضرس ذهبى فى فكيه.

أفلت (نجاتى) قميصه ، وقال فى صرامة :

ــ عظيم ... دعنا نبدأ عملنا إذن ، قبل أذان الفجر .

كانت هناك ثلاث جثث فى المقبرة ، قاما بشق أكفانها ، قبل أن يضىء (نجاتى) مصباحه فى وجه جثة الحاج (رضوان) ، قائلاً :

ــ ها هو ذا .

وارتجف (شحاتة) أكثر ...

الرجل كان يبدو وجهه نضرًا ، وكأنه نائم فحسب ، وليس ميتًا ...

لقد سمع من والدته أن ملامح الإنسان تتغيَّر بعد الموت ...

ولكن ملامح الحاج رضوان لم تفعل ...

Looloo
www.looloolibrary.com

إنها كما هى ...

حية ...

« سأحضر الأداة ، وعليك أن تمسك فكيه ، حتى أقتلع أسنانه ... »

قالها (نجاتى) ، وهو يبحث عن الأداة فى حقيبته ، فانتفض (شحاتة) ، هاتفًا بكل الرعب :

ــ لا ... مستحيل !!

قلب نجاتى شفتيه فى احتقار وازدراء :

ــ فليكن ... سأفعل هذا وحدى .

ابتعد (شحاتة) قليلاً ، وأولاه ظهره ، وأغمض عينيه ، وجسده كله يرتجف ، فانقلبت شفة (نجاتى) السفلى فى ازدراء ، و ...

وفجأة ، قبضت يد على معصمه ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى رعب ، وانتفض جسده انتفاضة أكثر عنفًا ، من مجموع انتفاضات (شحاتة) كلها ، وحدّق فى ذهول ورعب ، فى وجه الحاج (رضوان) ، وانطلقت من حلقه شهقة صغيرة قصيرة ...

شهقة استدار لها (شحاتة) ، مع ضوء مصباحه ...

ورأى ...

رأى (نجاتى) ملقى أرضًا ، وجثة الحاج (رضوان) جالسة ، تتطلع إليه مباشرة ...

« حالة نادرة للغاية ... »

قالها الطبيب الشرعى أمام الضابط ووكيل النيابة ، قبل أن يهز رأسه ، متابعًا :

ــ ضربات القلب تنخفض بشدة ، والجسد يتخشّب ، ويبدو الأمر ، حتى لبعض الأطباء أنها حالة وفاة .

قال وكيل النيابة فى اهتمام :

ــ أتعنى أنه لو لم يفتح المجرمان القبر ، ويشقان الكفن ...

أكمل الطبيب ، قبل أن يتم وكيل النيابة سؤاله :

ــ لمات الحاج رضوان مدفونًا فى قبر ، لا يملك وسيلة للخروج منه .

هزّ الضابط رأسه ، قائلاً فى مهابة :

ــ سبحان الله ... وكأنه عزّ وجلّ أرسلهما فقط لإنقاذ حياة الحاج (رضوان) ... أهو بخير .

قال الطبيب الشرعى :

ــ سيتعافى ويعود لعمله خلال أسبوع واحد ... على عكسهما ... أحدهما مات بأزمة قلبية .

ثم أشار إلى الجالس بين شرطيين ، مكملاً :

ــ والآخر أصيب بالجنون .

وفى حالته هذه ، لم يستوعب (شحاتة) ما يقوله الطبيب الشرعى ... لم يستوعبه أبدًا .

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.looloolibrary.com

شـــــروق

انحدرت دمعة ساخنة ، من عينى (سلمى) ، وهى تقف عند سور كوبرى قصر النيل ، فى تلك الساعة المتأخرة ، بعد منتصف الليل ...

الكثيرون حذروها من الخروج فى هذا الوقت المتأخر ، فى مثل هذه الظروف ، التى انخفضت فيها القبضة الأمنية ، وصارت الجريمة عنواناً يوميًّا معتادًا فى الصحف ...

ولكنها لم تهتم كثيرًا ...

فكيف يمكن أن يخشى إنســان المــوت ، وهــو ذاهب إليه بالفعل بقدميه ؟..!

الحياة بالنسبة إليها انتهت ، منذ لفظ حبيبها (عاصم) أنفاسه الأخيرة بين ذراعيها ، إثر إصابة مباشرة فى صدره ، من أحد بلطجية المرحلة ...

لقد كان الوحيد ، الذى منحته قلبها ، وشعرت معه بالأمن والأمان ، والراحة والاستقرار ...

كانا يخططان لحفل خطبتهما ، عندما حدث ما حدث ...

يومها أصابتها صدمة عنيفة ، فقدت معها الوعى لثلاثة أيام ...

ثم أفاقت على الحقيقة المخيفة ...

لم يعد هناك (عاصم) ...

لم يعد هناك أمن ...

أو أمان ...

لقد نشأت يتيمة ، فى كنف عمها ، الذى لم يرعها كما كان ينبغى أن يفعل ...

وهكذا نشأت ، تفتقر إلى أهم احتياجات أية أنثى ...

الأمان ...

حتى ظهر (عاصم) فى حياتها ...

كان حنونًا ، طيب القلب ، رقيق المشاعر ...

عرفته وعرفها ...

وفهمته وفهمها ...

وأحبته وأحبها ...

عندئذ فقط أشرق الأمل فى حياتها ...

عندئذ فقط ، أحبَّت الحياة ...

أحبتها معه ...

وبه ...

كل من عرفهما قال إنهما توءمان ، على الرغم من أنهما يختلفان جسديًّا ، فى كل ناحية من النواحى ...

هى قصيرة ، ضئيلة نحيلة ، وهو طويل قوى مفتول العضلات ...

ولكنهما كانا بالفعل توءمين ...

Looloo
www.looloolibrary.com

كانا يفكران فى الأمور نفسها ، وبالأسلوب نفسه ...

رؤيتهما لكل شىء كانـت متطابقة ، إلى حـد أثـار دهشتهما معًا ، فى أيامهما الأولى ، قبل أن يعتادا هذا ، بل ويتمازحان بشأنه طوال الوقت ...

ربما لهذا لم يكونا يفترقان أبدًا تقريبًا ...

فقط فى ساعات النوم ...

كانا توءمين فى الحياة ...

وهو زحل عن الحياة ...

فلماذا تبقى هى؟...!

لماذا ؟..!

أمسكت سور الكوبرى ، والتقطت نفسًا عميقًا ، وهى تتطلّع إلى مياه النيل ، التى هى حتمًا باردة ، فى هذا الوقت من الليل ...

استجمعت شجاعتها ، وعادت بجسدها إلى الخلف ، وهى تمسك بالسور ؛ لكى تدفع جسدها عبره ، و ...

« لماذا ؟..! »

انتفض جسدها مع السؤال ، الذى انبعث من خلفها ، مع اليد القوية التى أمسـكت كتفها ، واستدارت إلى صاحبها فى ذعر عنيف ، وقـد اتسعت عيناها عن آخرهما ، وحدَّقت فى ضابط الشرطة ، الذى يمسك كتفها ، والذى ــ وعلى الرغم من الموقف شديد التعقيد ــ منحها ابتسامة هادئة ، وهو يواصل :

ــ لماذا تفكر شابة مثلك فى هذا ؟!..

مضت لحظة من الصمت ، وهى تحدّق فيه بنفس الذعر ، قبل أن تجذب كتفها من بين أصابع يده ، هاتفه بكل العصبية والتوتر :

ــ وما شأنك أنت ؟!

بدت لها ملامحه شديدة الطيبة ، على عكس ما يتردَّد عن رجال الشرطة ، وهو يقول :

ــ ربما هو ليس من شأنى بالفعل ... وربما أنت على حق ، ولكن دعينا نسأل نفسينا معًا : لماذا قادنى القدر إلى هنا ، فى هذه اللحظة بالذات ؟!

هتفت بكل العصبية :

ــ لا شأن للقدر فى هذا.

قال بنفس الهدوء والطيبة :

ــ فلنعتبر الأمر مصادفة إذن.

أشاحت بوجهها عنه ، وعادت تمسك سور الكوبرى ، قائلة فى حدة :

ــ امض فى طريقك ... لا يوجد قانون يمنع الناس من الوقوف على الكوبرى ، فى أية ساعة .

صمت لحظة ، ثم قال :

ــ فى هذه الأيام ، لا يوجد قانون أساسًا .

التفتت إليه فى دهشة ، وهى تقول فى توتر :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ولماذا خرجت بزيك الرسمى إذن ، ما دمت تعلم هذا ؟..!

اتسعت ابتسامته ، هو يهز رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ لست أدرى ... صدقينى ... لست أدرى.

صمت لحظة ، ثم استطرد :

ـ ربما أتيت لمحاولة إقناعك بخطأ ما تريدين الإقدام عليه .

عادت تشيح بوجهها ، قائلة فى عصبية :

ـ أنت لا تعلم ما أريد الإقدام عليه .

قرّرت أن تفعل ما أتت من أجله فى سرعة ، قبل أن يستطيع منعها ، فقبضت على سور الكوبرى فى قوة ...

« منذ ثلاثة أيام فحسب ، أتيت إلى هنا؛ لأفعل ما توشكين على فعله ... »

أدهشتها كلماته كثيرًا ...

وأدهشها أكثر ذلك الحزن البالغ ، الذى قالها به ، فعادت تلتفت إليه ، متسائلة فى توتر :

ـ أنت ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، والتمعت فى عينيه دمعة ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول فى صوت مختنق :

ـ كانت هناك لحظة ، تصوَّرت فيها أن الحياة قد انتهت ، ولم يعد لدى أى أمل فيها .

غمغمت :

ـ الحياة لا تساوى شيئًا .

حاول أن يبتسم ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

ـ هـذا ما تصوَّرته أنا أيضًا ؛ عنـدما سيطر الشيطان على ذهنى ، مستغلاً حزنى الشديد ، وحاول دفعى لإغضاب الله سبحانه وتعالى ، وإنهاء حياتى بيدى .

غمغمت فى اضطراب :

ـ حزنك الشديد ؟..! لماذا ؟!

صمت لحظات ، مقاوماً غصة فى حلقه ، ومحاولاً السيطرة على تلك الدمعة العنيدة فى عينيه ، قبل أن يقول ، بنفس الصوت المختنق :

ـ كيف يكون شعورك ، لو فقدت كل من لك فى الحياة بضربة واحدة ؟!

كادت تنهار أمامه ، وهى تجيب فى مرارة :

ـ صدقنى ... لقد اختبرت هذا الشعور.

تابع بكل المرارة :

ـ كنت فى عملى ، وأحاول حماية أناس مثلك ، عندما هاجم بعض المجرمين منزلى ، فى أوّل ساعات الانفلات الأمنى ، و ...

منعته غصة حلقه من الاستمرار ، فازدرد لعابه ؛ محاولاً السيطرة عليها ، فهتفت هى تستحثه على المواصلة :

ـ وماذا ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

لوّح بذراعه ، مجيبًا ، وقد تضاعف اختناق صوته :

ــ قتلوهم.

سألته فى خوف :

ــ قتلوا من ؟!

كاد يبكى ، وهو يجيب :

ــ كلهم ... زوجتى ، وابنتى ، وابنى ... وحتى أمى .

هوى قلبها بين قدميها ، وهى تقول ملتاعة :

ــ يا ربى !!... يا ربى ...!!

رأت تلك الدمعة تنتصر ، وتنحدر على وجهه ، وهو يقول :

ــ عدت لأجدهم جميعًا قتلى ... ذبحوهم بلا رحمة ... حتى الصغيرة ، ذات العامين ، لم تثر فى نفوسهم المريضة ذرة من الشفقة .

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول منتحبة :

ــ ولكن هذا فظيع ... فظيع .

وافقها بإيماءة من رأسه ، ومسح الدمعة المتمردة عن وجهه ، وهو يقول :

ــ لهذا حاولت أن أفعل ما تحاولين فعله .

بكت وهى تقول :

ــ يدهشنى فى الواقع أنك لم تفعل .

التقط نفسًا عميقًا ؛ للسيطرة على مشاعره ، وعاد يبتسم تلك الابتسامة الحزينة الطيبة ، وهو يقول :

ــ ربما ألهمنى الله سبحانه وتعالى ألا أفعل ، حتى أكون هنا اليوم .

بكت فى حرارة ، وهى تقول :

ــ ولكنك فقدت كل من تحب .

مرة أخرى وافقها بإيماءة من رأسه ، مجيبًا :

ــ ولكننى لم أفقد إيمانى بالله سبحانه وتعالى .

قالت منهارة :

ــ وماذا بقى لك فى الحياة ؟!

أجاب فى سرعة :

ــ الأمل .

مع كلمته ، سقط أوّل ضوء من الشروق على وجهها ، فانتفض جسدها ، وشعرت بانقلاب عجيب فى مشاعرها ، وهو يواصل :

ــ هناك مقولة لحكيم قديم ، تقول : « ما دمت حيًّا فلتحيا ، فمع كل شروق ، هناك أمل جديد ... »

تطلّعت شاردة إلى أضواء الشروق ، من حيث تشرق الشمس ، وهى تغمغم :

ــ مع كل شروق أمل جديد .

Looloo
www.looloolibrary.com

ربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ــ مهما بلغ ظلام الليل ، فالشمس تشرق فى نهايته حتمًا .

كانت الشمس تشرق بالفعل أمام عينيها ، من خلف النيل العظيم ، فتطلَّعت إليها ، وقلبها يخفق فى قوة ، وعقلها يردد العبارة ...

« مهما بلغ ظلام الليل ، فالشمس تشرق فى نهايته حتمًا ... »

ويا لها من حكمة ...

الآن فقط ، ومع شروق الشمس ، ذهب ظلام اليأس فى نفسها ...

بل وأفزعتها فكرة أنها كانت ستقدم على الانتحار ...

تطلَّعت إلى الشمس بضع لحظات ، ثم التفتت إليه ...

ولكنه لم يعد هناك ...

كان فى نهاية الكوبرى يساعد امرأة مسنة بسيطة على عبور الشارع ، وعلى وجهه نفس الابتسامة الهادئة الطيبة ، على الغم من المأساة التى عاشها ...

وفى صمت ، ابتعدت عن سور الكوبرى ، وراحت تسير نحو نهايته ...

نعم ... هناك دومًا أمل يشرق ، مهما ساد الظلام ...

حتمًا .

* * *

كتـــاب خـــاص
بمناسبة العيد الثلاثين
لروايات مصرية للجيب
قصـــة العـــدد
صـــدمـــة

Looloo
www.looloolibrary.com

صـــدمـة

* الحياة تسير بنا على وتيرة واحدة .
* حتى تحدث الصدمة .
* صدمة واحدة ، قادرة على تغيير مسار حياتنا ...
* إلى الأبد .

د . نبيل فاروق

الفصـل الأول

بدأت تلك الليلة عنيفة للغاية ...

ليس من الناحية الدرامية ، ولكن من حيث ذلك الطقس العنيف ، الـذى هاجم البلاد فجأة ...

كانت الشمس دافئة مشرقة ، عندما اكتظت السماء بالـسحب الرماديـة الكثيفة ، فى سرعة مدهشة ، ثم سرعان ما دوى هزيم الرعـد ، وسـطع البرق وسط السحب ، ثم انهمرت الأمطار دفعة واحدة ...

وبمنتهى العنف ...

« عجيب هذا الطقس ...!! »

قالها (أسامة) ، الطبيب الشاب ، فى ذلك المركز الطبـى ، فـى أحـد الأحياء الشعبية ، وهو يغلق نافذة عيادته البسيطة ، ويلتفت إلـى زميلـه (عادل) ، مستطردًا :

ــ لست أدرى كيف أعود إلى المنزل ، فى هذا الطقس الردىء .

ابتسم (عادل) ابتسامة مشفقة ، وهو يغمغم :

ــ ألم تحسم أمرك بعد ، بشراء سيارة مستعملة ؟!

أطلق (أسامة) ضحكة صافية :

ــ وما شأن السيارة بعودتى إلى المنزل ؟!... يمكننى ببساطة أن أستقل سيارة أجرة .

Looloo
www.looloolibrary.com

هزَّ (عادل) كتفيه :

ــ على الأقل ، ستكفيك مشقة البحث عن سيارة أجرة ، قد لا تجـــدها ، فى مثل هذا الطقس .

هزَّ (أسامة) كتفيه بدوره :

ــ هل تعلم ... الإنجليز لديهم مقولة تقول : « لست ثريًا بمـــا يكفـــى ؛ لشراء سيارة مستعملة ... »

تنهَّد (عادل) ، ونهض يربِّت على كتفه :

ــ إذن فأنت تنتظر ، حتى تبتاع سيارة جديدة .

أومأ (أسامة) برأسه إيجابًا ، وغمغم :

ــ كدت أدخر قيمة مقدَّم شراء السيارة .

سأله (عادل) فى اهتمام :

ــ ولماذا لا تعمل لفترة إضافية ، فى عيادة المركز ... أنت طبيب قلـــب محبوب ، ويمكنك أن تضاعف إيراداتك ، بالعمل هنا لفترتين .

بدت لمحات من الحزن على وجه (أسامة) :

ــ ومن يرعى والدتى المريضة ؟!

لاحظ (عادل) دمعة ، تجاهد للانسكاب من عينى أسامة ، وأدرك أنـــه يقاوم موجة من الحزن ، ارتطمت بشاطئ مشاعره ، فأسرع يقول :

ــ السيدة الفاضلة والدتك أهم من ذلك بكثير بالطبع .

لم تنجح كلماته فى إزالة لمحات الحزن ، من ملامح (أسامة) ، الـــذى عاد يجلس خلف مكتبه ، بعد أن خلع معطفه الطبى ، وقال فى حزن واضح :

ــ إنها مريضة منذ زمن ، بضمور عضلى عصبى ، يتزايد مع الوقت ، وكل الأطباء أجمعوا على استحالة علاجه .

ثم نجحت تلك الدمعة الحزينة فى أن تنسكب من عينيه ، وتجرى علـــى خديه ، وهو يضيف فى مرارة :

ــ أشاهدها تضمر وتذوى أمامى كل يوم ، وأنا عاجز عن فعل أى شىء لإنقاذها .

ازدرد (عادل) غصة ، ضاق بها حلقه ، وهو يسأله فى خفوت :

ــ من يرعاها ، خلال تواجدك هنا ؟!

غمغم (أسامة) ، وهو يمسح دموعه :

ــ جارتنا ولاء ... هى وابنتها ياسمين ترعياتها وكأنها من عائلتهما .

اعتدل (عادل) ، يتساءل فى حذر :

ــ (ياسمين) ؟!... أتقصد تلك الشابة البيضاء الرقيقة ؟!

غمغم (أسامة) :

ــ إنها من الداخل أجمل منها من الخارج .

قال (عادل) فى خبث :

ــ أهكذا تراها ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

حمل صوت (أسامة) شيئًا من عصبيته ، وهو يقول :

ــ ماذا تعنى بالضبط ؟!

ابتسم (عادل) فى خبث ، وهو يتراجع فى مقعده :

ــ أتظن أننى أعنى شيئًا ؟!

رمقه (أسامة) بنظرة حادة ، دامت عشرين ثانية ، قبل أن ينهض ، قائلاً فى حزم :

ــ سأنصرف .

لم يكد ينطقها ، حتى فتحت الممرضة (نوال) باب العيادة ، دون استئذان كعادتها ، وقالت فى آلية اعتادها الكل منها :

ــ مريض عاجل يا دكتور (أسامة) .

بدا التوتر على (أسامة) ، وهو يقول :

ــ كنت أهم بالانصراف .

انعقد حاجبا (نوال) ، وهى تقول فى خشونة :

ــ لقد دفع مقابل كشف عاجل بالفعل .

غمغم (عادل) :

ــ ولماذا عاجل ... المركز يخلو من المرضى !!

تنهَّد (أسامة) ، وقال فى استسلام :

ــ لا بأس ... دعيه يتفضل .

نهض (عادل) ، واتجه نحو الباب ، مغمغمًا :

ــ فليكن ... سأنتظرك فى عيادتى حتى تنتهى .

قبل أن يصل إلى الباب ، أفسحت (نوال) المجال للمريض ، الذى عبر الباب فى هدوء شديد ، لا يتناسب مع مريض عاجل ...

كان رجلاً نحيلاً ، طويل القامة ، شاحب الوجه إلى حد ملحوظ ، وملامحه كلها منمنمة ، تبدو وكأنها قد تركت مساحة الوجه كلـه ، وتركـَّزت فـى منتصفه فحسب ...

ومع انصراف الدكتور (عادل) ، والممرضة (نوال) ، صار (أسامة) منفردًا بذلك المريض ، الذى ظل صامتًا ، ينظر إليه مبتسمًا ، علـى نحـو أشعره بنوع غريب من التوتر ، انعكس على صوته وهو يسأله :

ــ مم تعانى يا سيدى ؟!

أشار المريض إلى قلبه ، فغمغم (أسامة) فى عصبية :

ــ هل يعانى قلبك ضعفًا ؟!

مرة أخرى اكتفى المريض بإشارة إلى قلبه ، فالتقط (أسـامة) نفسًا عميقًا ؛ فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وهو يسأله :

ــ لماذا لا تجيب ؟!

أشار المريض إلى فمه ، وهزَّ رأسه نفيًا ، فهتف (أسامة) فى خجل :

ــ أنت أبكم ... معذرة يا سيدى ... تقبَّل أسفى واعتذارى ... تفضل ... سأقوم بالكشف عليك فورًا .

Looloo
www.looloolibrary.com

ابتسم المريض ابتسامة ، تفوق وجهه شحوبًا ، واتجه نحو (أســامة) مباشرة ، والذى عاوده ذلك الشعور بالتوتر ، وهو يشير إلى سرير الكشف :

ــ هنا يا سيدى ... ارقد هنا .

ولكن المريض واصل الاتجاه نحوه ، متجاهلاً إشاراته تمامًا ، حتى صار يقف أمامه ، لا تفصله عنه سوى سنتيمترات قليلة ...

« سيدى ... هل تفهم ما أقول ؟!... »

خفض الرجل نظره إليه فى هدوء ، وبدا له فى تلك اللحظة أطول ممـا تصوَّر ، وأكثر شحوبًا مما شعر فى البداية ، فاستطرد فى عصبية :

ــ أأنت عربى ؟!

رفع الرجل يده الشاحبة فى هدوء ، ووضعها على كتف أسامة ، و ...

« دكتور (أسامة) ألم ترحل بعد ؟!... »

انتفض جسده مع سؤال (نوال) ، وشعر وكأنه يستيقظ من حلم طويل ، أو كابوس رهيب ، فتلفت حوله فى توتر ، هاتفًا :

ــ أين المريض ؟!

حمل صوت (نوال) كملامحها كل الدهشة ، وهى تتلفَّت حولها بدورها :

ــ أى مريض ؟!... المركز لم يحضر إليه مريض قلب واحد الليلة !!

هتف بها فى عصبية :

ــ ذلك المريض الأبكم ... لقد رآه الدكتور (عادل) بنفسه .

سألته فى حيرة :

ــ متى ؟!... أمس ؟!

تزايدت عصبيته ، وهو يقول :

ــ بل اليوم ... منذ أقل من ربع الساعة .

حدَّقت فى وجهه ، على نحو استفزه ، فصاح بها :

ــ يمكنك أن تسأليه .

تراجعت خطوتين فى توتر ، وهى تغمغم :

ــ أسأله ؟!.. الدكتور (عادل) لم يحضر اليوم .

صاح ، وقد تضاعفت عصبية :

ــ كيف لم يحضر ؟! ... لقد ...

قاطعته ، قبل أن يتم صيحته :

ــ الدكتور (عادل) لا يحضر أبدًا أيام السبت .

صدمة قولها فى عنف ، فهتف بها :

ــ السبت ؟!... إننا يوم الأحد .

تراجعت فى خوف :

ــ اليوم هو السبت يا دكتور (أسامة) .

جاء دوره ؛ ليحدق فى وجهها ذاهلاً ، قبل أن يلتفت فى حركة حادة إلى نافذة العيادة المفتوحة ، ويقفز سؤال إلى رأسه ، ثم ينتقل فى سرعة إلـى لسانه :

Looloo www.looloolibrary.com

ــ متى توقف المطر ؟!

كادت (نوال) تفر من الحجرة ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ــ أى مطر يا دكتور ... إنها لا تمطر فى هذا الموسم فى المعتاد !!

حدَّق فيها بكل دهشة الدنيا لحظات ، ثم لم يلبث أن أغلق عينيــه وهــزّ رأسه ، مغمغمًا :

ــ أعتقد أننى سأعود إلى المنزل .

تمتمت هى فى خوف وقلق :

ــ هذا أفضل !!

لاحظ أنه يرتدى معطفه الطبى ، فخلعه وهو يتساءل ، عما إذا كان قــد خلعه بالفعل من قبل ، واتجه نحو باب المركز ، وترك (نوال) تغلق بــاب العيادة ، وسار بضع خطوات ، قبل أن يسمعها تهتف باسمه ، فالتفت إليها ، وقد صار على مسافة أربعة أمتار من المركز ، وسمعها تقول :

ــ هل ستترك سيارتك هنا يا دكتور ؟!

تجمَّد فى مكانه ، وهو يغمغم بكل توتره ودهشته واستنكاره :

ــ سيارتى ؟!

أشارت إلى سيارة فاخرة ، من طراز (مرسيدس) ، ســوداء اللــون ، تقف أمام المركز الطبى مباشرة ، وهى تجيب متوترة :

ــ هل نسيتها أيضًا ؟!

استدار وسار عائدًا إلى حيث السيارة ، وتوقَّف يتأملها لحظات ، قبل أن يسأل (نوال) ، التى جمعت بين الحيرة والخوف معًا :

ــ منذ متى أمتلك هذه السيارة ؟!

أجابت مرتجفة :

ــ لست أدرى متى ، ولكنك تأتى بها إلى هنا ، منذ أنشأت هذا المركــز الطبى .

هتف ذاهلاً :

ــ أنا أنشأته ؟!

رفع عينيه إلى لافتة المركز ، وهو يطلق هتافه ، وشعر بــصدمة فــى أعماقه ...

(مركز الدكتور أسامة الطبى) ... ليس هذا هو اسم المركــز ، الــذى يعمل به منذ سنوات ... إنه نفس المبنى ، فى نفس الحى ، ولكنــه أكثــر فخامة ، ويحمل لافتة مختلفة ...

انتبه فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه يرتدى حلة أنيقــة فخمــة ، تفــوق ما يمتلكه ويرتديه طيلة عمره ، و ....

وفجأة ، وثب سؤال مخيف إلى ذهنه ...

أهو فى حلم ؟!...

إنه يحيا وسط كل ما حلم به طيلة عمره ...

ولكن هذا لا يحدث فى يوم وليلة ...

بل فى لحظات !!

إنه حتمًا يحلم ...

Looloo
www.looloolibrary.com

حتمًا ...

« أسامة ... استيقظ يا ابنى ..... »

تسلَّل الصوت إلى أذنيه دافئًا حنونًا ، مع تلك اللمسات الرقيقة من أمه ، ففتح عينيه فى صعوبة ، وحدَّق فى وجهها ...

« أمى ... أنت تقفين على قدميك ... »

تراجعت أمه فى دهشة ، وهى تتساءل فى خوف :

ــ وماذا يدهشك فى هذا ؟!

اعتدل بحركة حادة ، جالسًا على طرف فراشه ، وحدَّق فيها مرة أخرى ...

إنها أمه ، ولكن ملامحها أكثر نضارة مما يذكر ، وجسدها ما زال يحمل حيويته المعتادة ، دون أى أثر لضمورها العضلى العصبى ...

« هل كنت تحلم ؟!... »

ألقت أمه السؤال عليه فى قلق ، فحدَّق فيها بضع لحظات أخرى ، قبل أن يفرك عينيه ، مغمغمًا فى حيرة متوترة :

ــ لم أعد أدرى ... صدقينى يا أمى ... لم أعد أدرى .

ظلت تلك الحيرة القاتلة تلتهم مخه وأعصابه ، وهو يقف أمام مرآة الحمام ؛ لحلاقة لحيته ...

إنه يرى نفسه فى مرآة الحمام فى وضوح ...

إنه نفس الشخص الذى يعرفه ...

ومنزله نفس المنزل ...

ولكن ما الذى شعر به ، وعايشه بكل أحاسيسه ، فى الفترة الماضية ؟!

« أمى ... هل أمتلك سيارة ؟!... »

فاجأ أمه بالسؤال ، وهى تضع طعام الإفطار أمامه على المائدة ، فرفعت عينيها إليه مشفقة ، وغمغمت :

ــ (أسامة) !!... ماذا أصابك ؟!

كان يدرك أنها محقة تمامًا فى سؤالها ، وعلى الرغم من هذا فقد كرر سؤاله :

ــ هل أمتلك سيارة ؟!

اعتدلت مجيبة ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ بالطبع يا حبيبى ... تمتلك سيارة منذ عامين تقريبًا .

مال إلى الأمام ، يسألها بكل الاهتمام :

ــ ما طرازها ؟!

بدت أكثر دهشة وحيرة ، وهى تجيب :

ــ من طراز فيات ؟! ... هل نسيت طراز سيارتك ؟!

شعر برأسه يدور ، فأمسك شوكة أمامه ، وغرس أحد أسنانها فى ظهر كفه ، فشهقت أمه صارخة :

ــ (أسامة) ؟!... ماذا تفعل ؟!... هل جننت ؟!

الألم الذى شعر به ، من سن الشوكة ، جعله يدرك أنه مستيقظ ، فأجاب فى عصبية :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ كلا يا أمى ... أنا مستيقظ .

مالت نحوه ، تسأله فى جزع :

ــ هل أتصل بالدكتور (عادل) ؟!

هزَّ رأسه نفيًا فى توتر :

ــ كلا يا أمى ... أنا بخير .... اطمئنى .

جلست إلى جواره ، وربَّتت على كفه :

ــ ما رأيك لو تحصل على إجازة اليوم ؟!... أظنك بحاجة إلى الراحة .

هزَّ رأسه نفيًا مرة أخرى ، مغمغمًا :

ــ لا أستطيع الغياب عن المركز ، دون إبلاغ مسبق .

سألته والدته فى حيرة :

ــ أى مركز ؟!

رفع عينيه إليها ، قائلاً فى توتر :

ــ المركز الطبى ... حيث أعمل .

غمغمت بكل الحيرة :

ــ المركز الطبى ؟!

ثم نهضت ، مستطردة بكلمات مرتجفة :

ــ سأتصل بالدكتور (عادل) .

لم يحاول أن يعترض ، أو أن يثنيها عن الاتصال هذه المرة ...

ربما لأنه يحتاج بالفعل إلى (عادل) ...

يحتاج إلى من يحدثه ...

وإلى من يفهمه ...

أو يصدقه ...

أو ...

« الأمر محير .... أليس كذلك ؟!... »

ذلك المريض الطويل الشاحب الأبكم قالها ، دون أن تنفرج شفتاه ...

ودون أن ينطق كلمة واحدة ...

قالها بعقله ، وهو ما زال يقف أمامه ، فى قلب عيادته البسيطة ، داخل المركز الطبى ، واضعًا يده على كتفه ، فحدَّق (أسامة) فى وجهه الشاحب لحظات ، قبل أن يهتف :

ــ من أنت ؟!

لم يجب المريض السؤال ...

فقط أفترت شفتاه الرفيعتان عن ابتسامة شاحبة ...

ثم حدثت أغرب ظاهرة علمية فيزيائية ، يمكن أن يرصدها أى مخلوق حى ....

كرة من البرق ، حطمت نافذة العيادة المغلقة ، فى دوى هائل ، واندفعت نحو (أسامة) مباشرة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى سرعة ، رفع المريض يده عن كتف (أسامة) ...

وارتطمت به كرة البرق ، فى اللحظة نفسها ...

وانتفض جسد (أسامة) ، فى عنف فاق كل تصور ...

فالصدمة كانت قوية ، عنيفة ، قاسية ...

وإلى حد لا يوصف ...

على الإطلاق .

* * *

الفصـل الثانى

البرق يحيط به من كل جانب ، دون أن يصدر أى صوت ...

وجسده ينطلق فى سرعة مخيفة ، عبر ذلك النفق العجيب ...

نفق طويل ...

طويل ...

طويل بلا نهاية ...

جدرانه تسطع مع البرق ، فيتألّق ضوءها فى النفق كله ...

وعلى الرغم مـن سرعـة اندفاعه ، وغرابة النفـق ، لم يكن يـشعر بالخوف ...

فقط بالقلق ...

والحيرة ...

والتساؤل ...

أين هو بالضبط ؟!...

وماذا يحدث لجسده ؟!...

هل مات ؟!...

أهذا هو البرزخ ، الذى يتحدثون عنه ، والذى يربط عالم الأحياء بعالم الموتى ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

هل قتلته تلك الصدمة ؟!

هل ؟!...

واصل جسده اندفاعه مع تساؤلاته ، وتضاعف قلقه مع حيرته ، وخاصة عندما بدأ الهواء أمامه يصير كثيفًا ، كما لو أن ضبابًا ينتشر فيه ...

أو أنه صار كله ضبابًا ...

ضباب يتشكّل على نحو عجيب ، ليرسم هيئة وجه ...

وجه شاحب ، نحيل ...

وجه ذلك المريض ...

ثم فجأة ، انتزعه من أفكاره شعور بأنه يهوى ...

ويهوى ...

ويهوى ...

و ....

« إنه يستعيد وعيه ... »

سمع الكلمات فى صعوبة ، بصوت يألفه جيدًا ، فغمغم فى ضعف :

ــ أمى .

شعر بيد أمه الحانية على جبينه ، وسمع صوتها تقول فى لوعة :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا حبيبى .

فتح عينيه فى صعوبة ، ورآهم كلهم أمامه ...

أمه ...

(نوال) ...

الدكتور (عادل) ...

وحتى ذلك المريض ...

لا .... إنه ليس المريض ... إنه الدكتور (وفيق) ، صـاحب المركـز الطبى ومديره ...

وفى حركة تلقائية ، أمسك كف أمه ، ومال ببصره إلـى ذلـك المقعـد المتحرك ، الذى تجلس عليه ، قبل أن يتمتم :

ــ لماذا أتيت يا أمى ؟!

احتضنت أمه يده ، مجيبة ودموعها تغرق وجهها :

ــ كيف كان يمكن ألا آتى ؟!!

استدار إلى زميله (عادل) ، قائلاً فى ضعف يذخر بالعتاب :

ــ أنت أحضرتها ؟

قبل أن يجيب عادل ، قالت الأم :

ــ (ياسمين) أحضرتنى .

أدار عينيه فى الوجوه ، التى تتطلّع إليه فى إشفاق ، وتمتم :

ــ وأين هى ؟!

ابتسمت الأم ابتـسامة شاحبة ، وهى تجيب :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ أوصلتنى ، وذهبت إلى عملها .

تطلع إلى الضوء المتسلل من النافذة ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ هل ظللت فاقد الوعى طيلة الليل .

تبادل الكل نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن يدس الدكتور (وفيق) يديه ، فى جيبى معطفه الطبى ، وهو يتنحنح ، قائلاً :

ــ دكتور (أسامة) ... أنت فاقد الوعى لأكثر من هذا .

تساءل فى توتر :

ــ كم من الوقت ؟!

سمع صوت (نوال) من يساره ، تجيب فى توتر :

ــ ستة أيام .

التفت إليها فى حركة حادة ، هاتفًا :

ــ كم ؟!

قال الدكتور (عادل) فى سرعة :

ــ فلتحمد الله ــ سبحانه وتعالى ــ على بقائك على قيد الحياة ... ذلك البرق اخترق عيادتك ، فى سابقة طبيعية ، هى الأولى من نوعها ، ودمَّر العيادة كلها تمامًا ...

شعر بغصة فى قلبه ، مع سماعه هذا ، وغمغم بكل توتره :

ــ والمريض ؟!... هل ...

تساءلت (نوال) فى حيرة :

ــ أى مريض ؟!

قال فى ضعف ، وهو يشعر وكأنه يوشك على فقدان وعيه مرة أخرى :

ــ ذلك المريض الشاحب الطويل .

هزَّ (عادل) كتفيه ، وهو يقول :

ــ ربما انصرف قبل هذا ، فلقد عثرنا عليك وحدك فى العيادة ، عقب الانفجار .

اعتدل مرة أخرى ، متسائلاً :

ــ إذن فأنت تذكره ؟!

بدت الحيرة على وجه (نوال) ، فى حين أجاب (عادل) :

ــ بالطبع ... لقد أتى وأنا معك فى عيادتك .

أدهشتهم جميعًا بتنهيدة حارة ، وهو يسترخى على فراشه ، مغمغمًا :

ــ الحمد لله .

رفعت أمه عينيها إلى الدكتور (وفيق) ، متسائلة فى جزع :

ــ ماذا يحدث ؟!

أجابها الطبيب الكهل ، فى هدوء وثقة :

ــ أمر طبيعى ، بعد صدمة عنيفة كهذه ... سيصفو ذهنه مع الوقت .

Looloo
www.looloolibrary.com

أغلق عينيه فى ارتياح ، وتركهم يتبادلون الحديث من حولـــه ، وهـــو سابح مع أفكاره ....

إذن فكل شىء عادى ...

إنه لم يكن يحلم ...

لقد التقى ذلك المريض العجيب بالفعل ...

وكرة البرق كانت حقيقية ...

إنه لم يكن يحلم ...

« لم يكن حلمًا .... »

سمع الصوت ، أو شعر به إذا شئنا الدقة ؛ لأنه وصل إلى مخـــه ، دون أن يعبر أذنيه ...

نفس الصوت الذى سمعه عقله ، قبل الصدمة ...

وانتفض جسده ، وهو يفتح عينيه فى حركة حادة ...

مستحيل !!...

إنه هنا ...

إلى جوار فراشه !!...

ذلك المريض النحيل الطويل الشاحب ...

يجلس بكل هـــدوء ، وســـط قاعة كبيـــرة خاوية ، يستقر فراشـــه فى منتصفها ...

ليست حجرته فى المركز الطبى ...

أمه والآخرون اختفوا تمامًا ...

والقاعة نفسها عجيبة للغاية !!...

قاعة واسعة ، جدرانها كلها مع سقفها من قطعة واحدة ، مـــن معـــدن فضى اللون ، لا توجد به فتحة واحدة ...

وهناك ضوء ينبعث فيها ، من مصدر مجهول ...

كأن الجدران كلها تومض بلا وهج ...

أو أنها تعكس ضوءًا ما ...

« ما تراه من حولك حقيقة .... »

مرة أخرى تسلل الصوت إلى عقله مباشرة ، فاعتدل متمتمًا فى عصبية :

ـــ من أنت ؟!... وكيف تفعل هذا ؟!

ظل المريض محتفظًا بتلك الابتسامة ، التى تبدو وكأنها محفورة علـــى وجهه ، وصوت ما ينبعث من عقله مباشرة :

ـــ لست هنا لأجيب الأسئلة .

قال فى عصبية :

ـــ لا بد وأن أعرف ، كيف نقلتنى إلى هنا .

جاءه الجواب على الفور :

ـــ أنت لم تنتقل إلى أى مكان .

Looloo
www.looloolibrary.com

أدار عينيه فيما حوله ، وقال فى عصبية :

ــ هل تريد إقناعى بأن ما أراه من حولى ليس حقيقيًا ؟! !

سبح الجواب إلى عقله فى نعومة :

ــ وماذا حولك ؟!... من المبكر أن تحاول الفهم ... التجربة لم تبلغ هذه المرحلة بعد .

تساءل بكل عصبية :

ــ التجربة ... أية تجربة ؟!

بدأ المريض يتلاشى من أمامه ، على نحو أشبه بما يحدث ، فى أفـلام الخيال العلمى ، فصرخ مكررًا ، وجسده كله يرتجف :

ــ أية تجربة ؟!

« دكتور (أسامة) ... ماذا يحدث ؟!... »

انتفض جسده ، وهو يفتح عينيه عن آخرهما ، ويحدق فى وجه أمـه ، التى أجهشت بالبكاء ، و(عادل) يحاول تهدئتها ، والـدكتور (وفيـق) يمسك به ، محاولاً السيطرة على انتفاضات جسده ، و(نوال) تعد محقنًا ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ...

أهو حلم مرة أخرى ؟!...

أم كابوس ؟!...

هل تأثر بذلك المريض إلى هذا الحد ؟!

وكيف يرسم عقله هذه الصورة العجيبة ؟!..

قاعة ، وإضاءة ، والمريض ، و ...

شعر بإبرة المحقن تخترق ذراعه ، فاستسلم لها تمامًا ...

إنها حقنة مهدئة حتمًا ...

وهو يحتاج إليها ...

وبشدة ...

ولقد سرى المخدر فى جسده بسرعة مخيفة ، ودار رأسه ، وتـشوَّشت الرؤية أمام عينيه ، وراح جسده يسترخى فى هدوء ...

آخر ما وقع عليه بصره كان جارته الرقيقة (ياسمين) ، وهى تـدلف إلى الحجرة ، ونظرة قلق تطل من عينيها ، وهى تحمل علبة شيكولاتة ...

ثم انقطعت علاقته بعالم الوعى ...

تمامًا ...

« (أسامة) ... حبيبى ... هل كنت تحلم ؟!... »

ذلك الصوت المألوف داعب أذنيه ، مع رائحة عطر رقيقة ، ففتح عينيه فى بطء ، وتطلَّع إلى ذلك الوجه الحسن ، المطل عليه ، بعينـين ملؤهمـا القلق ...

وفى أعماقه ، تفجَّر بركان من الدهشة ...

إنها (ياسمين) ...

جارته (ياسمين) ...

ولكن ما هذا الذى ترتدينه ؟!...

Looloo
www.looloolibrary.com

ثوب نوم هفهاف نصف شفاف ...

وفى حركة حادة ، اعتدل هاتفًا :

ــ ماذا تفعلين هنا ؟!

فزعت (ياسمين) لانتفاضته ، وتراجعت بحركة حادة ، مكررة قولــه ، فى دهشة مذعورة :

ــ ماذا أفعل هنا ؟!

هتف بها :

ــ نعم ... ماذا تفعلين هنا ، فى حجرة نومى ؟!

أطل ذعر الدنيا كله من عينيها ، وهى تقول مرتجفة :

ــ تقصد غرفة نومنا ؟!

غرفة نومنا ؟!

انتبه فجأة ، مع عبارتها الاستنكارية ، إلى أنه ليس فى حجرتــه التــى يعرفها ، فى بيت أمه ...

إنها حجرة نوم مختلفة تمامًا ...

أوسع ...

أحدث ...

وأفخم أثاثًا بكثير ...

ولكن ما جعل عينيه تتسعان عن آخرهما ، هو صورة ...

صورة كبيرة ، معلقة فى مكان متميز على الجدار ، يبدو فيها فى حلــة أنيقة ، وإلى جواره (ياسمين) ، فى ثوب زفاف أبيض ...

وعلى الفور ، استوعب هذا الحلم الجديد ...

« ماذا بك يا حبيبى ... »

قالتها (ياسمين) بكل القلق ، وهى تمس كتفــه بأناملهــا الرقيقــة ، فأغمض عينيه ، وغمغم :

ــ كابوس ... مجرد كابوس .

انحنت تطبع قبلة على خده ، ثم تعتدل قائلة :

ــ سأعد لك كوبًا من النعناع الدافئ ؛ لتهدئة أعصابك .

كانت تهم بالخروج من الحجرة ، عندما قفز سؤال قلق إلى ذهنه ، نقله إلى لسانه فى سرعة :

ــ (ياسمين) ... أين أمى ؟!

أجابته (ياسمين) ، وهى تواصل طريقها :

ــ فى منزلها يا حبيبى .

ثم التفتت إليه مبتسمة :

ــ لقد دعوتها لتتناول طعام الغداء معنا غدًا ، هى وعم (وفيق) .

غمغم فى دهشة :

ــ عم (وفيق) ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

قالت فى مرح خفيف :

ــ لا يمكنها أن تأتى دون زوجها بالطبع .

كاد يصرخ بكل ذهوله ...

زوجها ؟!

أمه تزوَّجت الدكتور (وفيق) !! !!!

مستحيل طبعًا !!...

هزَّ رأسه فى قوة ؛ ليخرج من هذا الحلم السخيف ...

هزَّ ...

هزَّ ...

وهزَّ ...

ولكن الحلم لم ينته ...

وعندما عادت (ياسمين) بكوب النعناع ، تطلع إليها فى خواء ، وهـو يقنع نفسه بأنها ليست حقيقة ...

مجرَّد جزء من حلمه ...

أو من كابوسه ...

ولكنه شعر بملمس كوب النعناع الدافئ فى وضوح ...

وطعم النعناع أيضًا كان حقيقيًّا للغاية ...

هذا إذن ليس حلمًا ...

ولكنه من المستحيل أن يكون حقيقة أيضًا !!..

إنه يحب (ياسمين) منذ زمن ...

ولكنه حتمًا لم يتزوَّجها ...

المرء لا يتزوَّج دون أن يشعر ...

وأمه مقعدة ، فكيف تتزوَّج ؟!..

ومن ؟!...

الدكتور (وفيق) !!...

« كيف تزوَّجت أمى ؟!... »

ألقى السؤال ، وهو يرتشف كوب النعناع الدافئ ، فأطلقت (ياسـمين) ضحكة عذبة رقيقة :

ــ كما يتزوَّج كل الناس يا حبيبى .

قال ، محاولاً السيطرة على أعصابه :

ــ ظروفها ليست ككل الناس .

تساءلت فى دهشة :

ــ وفيم تختلف عنهم ؟!

أجاب ، فى شىء من خشونة لم يتعمَّدها :

ــ كونها مقعدة .

كادت (ياسمين) تقفز من الفراش ، من فرط دهشتها ، وهـى تهتـف مستنكرة :

www.looloolibrary.com

ــ مقعدة ؟!... هل تعتبر أمك مقعدة ؛ لمجرَّد أنها اقتربت من الستين .

توقفت رشفة النعناع فى حلقه ، وهو يلتفت إليها ، متسائلاً :

ــ ألم تكن ...

أخرسته نظرة الفزع فى عينيها ، فلم يتم تساؤله ، ولاذ بصمت جعلها تسأله فى قلق :

ــ أهذا كان كابوسك ؟!

غمغم :

ــ يبدو هذا .

لاذ بعدها بالصمت ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة زائفة ، و(ياسمين) تتحدَّث إليه ، وهو يتطلع إليها ، دون أن يسمع حرفًا مما تقول ، حتى استسلمت للنوم أخيرًا بين ذراعيه ، وتركته يسبح مع أفكاره وحيرته ...

« أيهما تفضل ؟!... »

فجأة ، اختفت حجرة زواجه من حوله ، وعادت تلك القاعة العجيبة تحيط به ، وذلك الشاحب النحيل يجلس إلى جواره ، مبتسمًا كعادته ، وكلماته تتسلَّل إلى عقله مباشرة ، وتثير كل توتره ...

« أنت الشيطان ... أليس كذلك ؟!... »

هتف بها (أسامة) فى غيظ ، لم يفقد المريض الشاحب ابتسامته ، وهو يقول عبر عقله :

ــ أهذا أقصى ما توصل إليه عقلك ؟!

صرخ (أسامة) بكل عصبيته :

ــ ماذا تفعل بى ؟!... ولماذا ؟!

بكل هدوء ، ودون أن يفقد ابتسامته ، أو تنفرج شفتاه ، كرَّر الشاحب :

ــ أيهما تفضل ؟!

هتف (أسامة) فى عصبية :

ــ ماذا تعنى ؟!

أتاه الجواب مربكًا :

ــ أى الحياتين تفضل ؟!

حدَّق فيه (أسامة) لحظات ، كأنه لم يفهم السؤال أو يستوعبه ، ثم غمغم فى عصبية :

ــ نعم ... أنت الشيطان ... من المؤكَّد أنك قد صنعت ذلك العالم الوهمى ، الذى تحقَّقت فيه أحلامى ، حتى أبيع روحى لك .

خيل إليه أنه قد سمع تنهيدة فى رأسه ، أعقبتها رسالة ذهنية عجيبة :

ــ هل أخطأنا اختيار العينة ؟!

هتف فى حدة :

ــ أية عينة ؟!... وما معنى سخافاتك هذه ؟!... أنا لست عينة ، ولست فارًا معمليًّا فى تجربة ... أنا إنسان ... هل تفهم ؟!... إنسان .

راح يردد الكلمة الأخيرة صارخًا ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ويردد ...

ويردد ...

« دكتور (أسامة) .... ماذا بك ؟!... »

قالها (عادل) فى صرامة ، جعلته ينتفض مرة أخرى ، ويحـــدق فيمـــا حوله ذاهلاً ...

لم يعد فى تلك القاعة العجيبة ...

ولا فى حجرة زواجه ...

ولا حتى فى المركز الطبى ...

لقد كان يقف داخل عيادة فاخرة ، تطل على نيل (القاهرة) ، والثـــراء يبدو واضحًا ، فى كل ركن فيها ...

المكتب ...

الأثاث ...

اللوحات الغالية ...

قطع الكريستال الفاخرة ...

كل شىء ...

أما الدكتور (عادل) ، فقد كان يبدو صارمًا ، على غير عادته ...

وملامحه كانت تحمل شيئًا ، لم يره فيها أبدًا ...

القسوة ...

« ماذا بى يا دكتور (عادل) ؟!... »

قالها فى ارتباك ، فأجابه (عادل) فى صرامة :

ـ أتحدث معك عن عملية الغد ، فلا أجد منك ردًا .

هزّ رأسه فى قوة ، وقرّر أن يجارى الموقف ، على الرغم من غرابته ، وهو يقول :

ـ معذرة ... شردت لحظات .

رماه الدكتور (عادل) بنظرة نارية ، قبل أن يقول :

ـ هذا غير مسموح به ، وخاصة أثناء العملية ... الأمير لن يقبل بهذا .

غمغم فى حيرة :

ـ الأمير ؟!

قال (عادل) فى حدة صارمة :

ـ ماذا أصـــابك ؟!... هـــل نسيت أننا سنجرى الجراحة لزوجة الأميـــر غدًا ؟!... إياك أن تكون قد نسيت تحضير حقيبتك .

غمغم حائرًا :

ـ حقيبتى ؟!

صاح (عادل) فى غضب :

ـ حقيبـــة السفر يا دكتـــور (أسامة) ... لا تقل لى : إنك نسيت أننـــا سنسافر فجر الغد أيضًا .

Looloo
www.looloolibrary.com

هتف :

ــ نسافر ؟!... وماذا عن والدتى ؟!... هل سأتركها وحدها .

حدَّق فيه (عادل) ذاهلاً ، على نحو أصابه بحالة ارتباك عنيفة ، جعلته يتراجع عدة خطوات إلى الخلف ، وهو يتمتم :

ــ ما سر دهشتك ؟!

سأله (عادل) فى حذر :

ــ دكتور (أسامة) ... هل تتناول أية عقاقير مخدرة ؟!

هتف فى توتر :

ــ تعلم أننى لا أفعل ، ومن المستحيل أن أفعل .

ثم صرخ فى غضب :

ــ من أو ماذا وضع هذه الفكرة العجيبة فى رأسك ؟!

غمغم (عادل) ، وهو ما زال يتطلع إليه فى توتر :

ــ حديثك عن والدتك .

هتف فى حدة :

ــ وهل صارت المشاعر عيبًا ؟!

قال (عادل) مشفقًا وقلقًا :

ــ دكتور (أسامة) .... والدتك توفيت ، منذ أكثر من عام .

وبكل العنف ، انتفض جسده ...

فقد كانت هذه بالفعل صدمة ...

صدمة عنيفة ...

للغاية .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصـل الثالث

ماذا يحدث له ؟!...

فى أى كابوس يحيا ؟!...

مستحيل أن يكون كل ما يمر به حقيقة !!...

المرء لا يحيا الشىء ونقيضه فى آن واحد !!...

هناك شىء ما يحدث ...

شىء يعجز عن فهمه ...

شىء عجيب ...

غريب ...

خيالى ...

ومخيف ...

« دكتور (أسامة) ... »

انتزعه ذلك الصوت غير المألوف من أفكاره ، فالتفت إلـى صـاحبه ، ورأى أمامه شابًا وسيمًا ، فى معطف أطباء ، فغمغم متسائلاً فى توتر :

ــ من أنت ؟!

ثم انتبه إلى أنه يجلس على طرف فراش معدنى صغير ، داخل حجـرة خالية ، إلا من ذلك الفراش ، ومنضدة خشبية عادية ، والحجرة لها نافـذة

واحدة ، مغلقة بقضبان أشبه بقضبان السجن ، وباب معدنى ، لـه نافـذة صغيرة ذات قضبان ، فهتف متابعًا فى ذعر :

ــ و أين أنا ؟!

حافظ الطبيب الشاب على ابتسامته ، وهو يجلس إلى جواره ، مجيبًا :

ــ أنا الدكتور (وحيد وصفى) ... تسلمت العمل هنا منذ أسبوع واحد ، وجذبتنى حالتك فى شدة ، فتقدَّمت بطلب ؛ لوضعك تحت رعايتى .

قال فى عصبية :

ــ أية رعاية ؟!... ولماذا ؟!

ثم تضاعفت عصبيته ، وعلا صوته ، وهو يستطرد صارخًا :

ــ وما هذا المكان ؟!

ربَّت الطبيب الشاب على كتفه فى حذر ، وهو يجيب فى تردد :

ــ اهدأ يا دكتور (أسامة) ... اهدأ ... هذا المكان آمن تمامًا ، ويسعى لتخليصك من مشكلتك .

صرخ ، وقد بلغت عصبيته ذروتها :

ــ أية مشكلة ؟!... وما هذا المكان ؟!

انتفض الدكتور (وحيد) ، ووثب مبتعدًا عنه ، وهو يجيب فى توتر :

ــ أنت فى مصحة (المقطم) للأمراض النفسية .

وانتفض جسد (أسامة) هذه المرة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

مصحة أمراض نفسية ؟!...

كيف ؟!..

ولماذا ؟!...

والسؤال الأخطر ... منذ متى ؟!

نقل السؤال الأخير إلى شفتيه ، وهو يحدّق فى الدكتور (وحيد) ذاهلاً مستنكرًا ، فتنحنح الطبيب الشاب فى ارتباك ، وهو يغمغم :

ــ ليس المهم منذ متى ... المهم هو ...

هبَّ من فراشه فى حركة شرسة ، صارخًا :

ــ منذ متى ؟!... أجب .

مع صرخته ، التى امتزجت بصرخة ذعر من الطبيب الشاب ، اقتحم ممرضان قويان حجرته ، وانقضا عليه ، ودفعاه نحو الفراش الصغير ، وكبَّل أحدهما ذراعيه ، للسيطرة على مقاومته ، والدكتور (وحيد) يهتف بهما :

ــ كفى ... لم يكن يقصد هذا ... كفى .

هتف به أحد الممرضين :

ــ الإجراءات تحتم حقنة مهدئة ، فى مثل هذه الظروف .

حاول هو أن يتكلم ...

أن يصرخ ...

أن يعترض ....

ولكن ذلك الضخم ، الذى كان يجثم على صدره ، كان يمنعه حتى من التقاط أنفاسه ...

وبكل غضبه ، صرخ الدكتور (وحيد) :

ــ قلت كفى .

تراجع الممرضان دون اقتناع ، وغمغم أحدهم فى توتر :

ــ لو ساءت الأمور ، فهى مسئوليتك الشخصية .

هتف فى حدة :

ــ وأنا أتحملها ... غادرا الحجرة فورًا .

تساءل الآخر ، وهو يتجه نحو باب الحجرة بالفعل :

ــ وماذا لو أصابته نوبة الهياج مرة أخرى ؟!

صرخ فيه :

ــ قلت : غادرًا .

غادر الممرضان الحجرة ، وأغلقا بابها خلفهما ، فاعتدل هو ، جالسًا على طرف فراشه ، والتقط نفسًا عميقًا ، وكأنما يستعيض به عن كتمان أنفاسه ، واختلس نظرة متوترة إلى الدكتور (وحيد) ، الذى رمقه بدوره بنظرة حذرة ، قبل أن يعاود الاقتراب منه فى تردد ، وجلس مرة أخرى على الفراش ، فالتقط (أسامة) نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وهو يغمغم فى عصبية :

ــ لم تجب سؤالى بعد .

Looloo
www.looloolibrary.com

صمت الدكتور (وحيد) لحظات ، ثم غمغم بدوره :

ــ ما يقرب من عام .

التفت إليه (أسامة) فى حركة حادة أفزعتــه ، فتراجــع إلــى طــرف الفراش ، متحفزًا للهروب ، و(أسامة) يهتف :

ــ عام ؟!... مستحيل !!

قال الدكتور (وحيد) فى حذر :

ــ فقدان الوقت والمكان ، سمة أساسية فى حالتك .

غمغم (أسامة) ، وهو يكاد يبكى :

ــ حالتى ؟!

أومأ الدكتور (وحيد) برأسه إيجابًا ، وقال فى خفوت ، وكأنه يخــشى إثارة أعصابه :

ــ تعدد الشخصيات ... هذا اسم الحالة التى تعانى منها .

شعر (أسامة) بغصة فى حلقه ، وهو يغمغم :

ــ تعدد الشخصيات ؟!... هل تعنى ...

منعته غصة من إكمال سؤاله ، فقال الدكتور (وحيد) ، وكأنــه يكمــل حديثه :

ــ الحالة واحدة من حالات السكيزوفرانيا ... انفصام الشخصية ، ولكنها النوع شديد التعقيد منها ، حيث يعيش الشخص وكأنه عدة أشــخاص فــى

جسد واحد ، لكل منها مشاعره وأفكاره وأحاسيسه ، التى قــد تتعــارض أحيانًا مع بعضها البعض .

نعم ...

هذا ما مر به بالضبط ...

تعدد الشخصيات ...

هو إذن مصاب بمرض ذهانى ...

هذا تفسير لكثير من الأمور ...

وبداية لعدد أكثر من التساؤلات ...

« من الواضح أن ضغوط حياتك ، كانت أكبر من قوة احتمالك لها ... »

غمغم ، ودمعة مريرة تنحدر من عينيه :

ــ هذا صحيح .

تابع الدكتور (وحيد) ، وقد لان صوته كثيرًا :

ــ لهذا خلق عقلك شخصيات ، تفر بها من واقعك ، إلى واقع ترتاح إليه وترضاه ، مثل الشخصية الثرية ، التى تمتلــك المركــز الطبــى ، والتــى تزوّجت فتاة أحلامه .

نعم ... إنه على حق ...

لقد حقق أمنيات حياته كلها ، فى عالمه الوهمى ...

أو عوالمه الوهمية ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكن مهلاً ...

ماذا عن كل شيء آخر ؟! ...

ماذا عن تعامل الآخرين مع شخصياته المتعددَّة ...

أمه ...

(ياسمين) ...

الدكتور (عادل) ...

وحتى (نوال) والدكتور (وفيق) ....

اندفع يطرح السؤال على الدكتور (وحيد) ، الذى ظهرت على ملامحه علامات مشفقة ، وهو يقول متعاطفًا :

ــ ولكنهم ينكرون أنهم قد فعلوا هذا .

بدأت دموعه تنسال ، دون أن يملك القدرة على كبحها ...

أو لم يشعر حتى بها ...

على الرغم من أن كيانه كله شعر بكل ثانية ممـــا صـــادفه ، إلا أنهـــم ينكرون أن هذا حدث ...

« ماذا عن أمى ؟!... »

طرح السؤال فى لهفة ، فأجابه الدكتور (وحيد) فى خفوت :

ــ ما زالت تعانى من ضمور عضلى عصبى .

كان هذا يكفيه ؛ ليدرك ماهية شخصيته الحقيقية ...

كل ما عدا ذلك كان وهمًا ...

ولكن كيف شعر به هكذا ؟! .

كيف ؟!...

هل يمكن للوهم أن يمتزج بالواقع ، فيسقط الحاجز الفاصـــل بينهمـــا ، ويبدو حتى الوهم واقعًا ؟!

لم يكن يبحث عن جواب ؛ لأن هذا لم يكن فى الواقع سؤالاً ...

كان حديثًا مع النفس ...

حديث لا بد وأن يعترف فى نهايته بأنه مريض بالفعل ...

كل الشواهد تقول هذا ...

كلها بلا استثناء ...

ولابد له وأن يستسلم للحقيقة ...

الحقيقة التى ...

لم يكن قد أتم العبارة فى ذهنه ، عندما شعر فجأة بكيانه يهوى ....

ينزلق كسائل لزج ، عبر أنبوب ضيق ...

ومع هول المفاجأة صرخ ...

أو أنه أراد ذلك ...

ولكنه لم يفعل !!...

شيء ما حبس صرخته فى أعماقه ...

Looloo
www.looloolibrary.com

هذا لو بقيت لديه أعماق ...

كل ما استطاع فعله هو أن أغلق عينيه ، وترك جسده ينسكب ...

وينسكب ...

وينسكب ...

ثم فجأة أيضًا ، هوى جسده فى عنف ، ثم توقف تمامًا ...

ولثوان ، بعد أن استقر جسده ، ظل يغلق عينيه ، دون أن يجرؤ على فتحهما ...

« لماذا تغلق عينيك ؟!... »

فتح عينيه مصدومًا ، عندما صدم السؤال عقله ، وحدَّق ذاهلاً فى ذلك الشاحب ، الذى يجلس أمامه فى هدوء ، وابتسامته المستفزة على شفتيه ، وسط تلك القاعة العجيبة ، التى تثير الرجفة فى أوصاله دومًا ...

وبكل ذهوله واستنكاره ، حدَّق فى ذلك الشاحب ، قبل أن يقول فى توتر :

ــ أنت لست حقيقيًا .... أنت وهم .

ثم علا صوته ، وهو يستطرد :

ــ وكل ما حولى وهم .

ظل الشاحب هادئًا ، وهو يقول ، دون أن يفتح شفتيه :

ــ أهذا ما أوهموك به ؟!

عاد يغلق عينيه ، هاتفًا :

ــ لن أجيب سؤالك ... أنت مجرَّد وهم .

عبر عقله جاءت العبارة :

ــ مشكلتهم أن عقولهم أعجز من أن تستوعب هذا .

ضغط جفنيه فى قوة ، صارخًا :

ــ اذهب ... أنت وهم .

فى هدوء ، تسلَّل الحديث إلى تلافيف مخه :

ــ المقاومة لن تجدى نفعًا ؛ لأننى لست وهمًا .

صرخ ، مشيحًا بوجهه :

ــ أنت وهم ... وهم ... وهم .

واصل الصراخ ، دون أن يتلقى جوابًا ، حتى أفرغ كل طاقته ، فجاء الجواب إلى عقله :

ــ لماذا لا تنهض ، وتلمس الجدران بنفسك ؛ لتتيقَّن من أنك لست واهمًا ؟!

قال فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ــ عقلى سيخدعنى ، ويوهمنى بملمس حقيقى .

الجواب أربكه :

ــ عقلك يخدعك الآن ، وأنت تجاهد لإثبات وهم ما حولك .

بدا منكسرًا ، وهو يغمغم باكيًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا يمكن للإنسان أن ينتقل ، من مكان إلى آخر ، علـى هـذا النحـو المفاجئ ، إلا فى عالم الوهم .

ضاعف الجواب توتره وارتباكه :

ــ هذا نسبة إلى ما بلغتموه من علم .

صدمته العبـارة ، ففتح عينيـه ، وحدّق فى وجهه الشاحب ، متسائلاً بصوت مرتجف :

ــ ماذا تعنى ؟!

ظل الشاحب مبتسمًا ابتسامته ذاتها ، وهو يقول عبر عقله :

ــ علومنا تفوق علومكم بسنوات من التطور ، وما تراه أنت مستحيلاً ، هو بالنسبة لعلومنا لعبة .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يسأل بصوت مبحوح :

ــ من أنت ؟!... أو ماذا أنت ؟!

قبل أن يحصل على جواب ، عاد يشيح بوجهه فى سرعة ، ويغلق عينيه فى قوة ، وهو يهتف بكل انفعاله :

ــ لا ... أنت وهم ... لا يمكن أن تكون سوى هـذا ... مـستحيل !... مستحيل !

جاوبه صمت طال دقيقة كاملة ، قبل أن تتسلّل عبارة مقلقة إلى رأسه :

ــ تريد دليلاً إذن .

هتف :

ــ لا يوجد دليل على الوهم .

سمعه عبر عقله يقول :

ــ هل يكفيك هذا ؟!

شعر بألم شديد فى ذراعه ، عقب تلك الرسالة العقلية ، فرفع ذراعه إلى مستوى بصره ، وصرخ :

ــ ماذا فعلت ؟!... لماذا جرحت ذراعى على هذا النحو ؟!

استقبل عقله رسالة من كلمة واحدة :

ــ الدليل .

مع الرسالة ، شعر بجسده ينسكب مرة أخرى ...

وفى عنف يفوق المرة السابقة ...

ثم انتفض جسده فى قوة ...

وبلا مقدمات ، وجد نفسه داخـل حجرته فى المصحة ، ولكن الـدكتور (وحيد) لم يعد إلى جواره ...

كان هناك ، عند باب الحجرة ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذعر وذهول ، وجسده كله يرتجف ، وهو يحدق فيه ...

وبكل توتره ، هتف (أسامة) :

ــ ماذا أصابك ؟!

لم يجب الدكتور (وحيد) ، من فرط ارتجافه ، ولكن عيناه كانتا تحدقان فى ذراعه هو مباشرة ، مما جعله يرفع ذراعه إلى عينيه ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وهنا انتفض جسده انتفاضة أكثر قوة وعنفًا ...

فلقد كان ذلك الجرح واضحًا فى ذراعه ...

وكان هذا بمثابة صدمة جديدة ...

وعنيفة ...

إلى أقصى حد .

* * *

الفصـل الرابع

« ما تقوله جنون يا دكتور (وحيد) ... »

قالها الدكتور (لويس) ، مدير المصحة النفسية فى صـــرامة ، جعلـــت الدكتور (وحيد) يهتف بكل انفعاله :

ــ أقسم لك إن كل ما رويته لك حقيقة يا دكتور (لـــويس) ... حـــدثت أمام عينى ، ولست أجد لها تفسيرًا علميًّا ... لقد كنت أجالس المـــريض ، فظهر جرح فى ذراعه ، دون أن يتحرك ، أو يلمس شيئًا .

بدا صوت الدكتور (لويس) أشبه بالزمجرة ، وهو يقول :

ــ التقرير الذى أمامى يقول : إنه جرح قطعى ، طوله ثلاث سنتيمترات ونصف السنتيمتر ... أيمكن أن يحدث هذا ، دون إصابة خارجية ؟!

هتف الدكتور (وحيد) :

ــ حدث ... حدث وأقسم أنه حدث .

ضرب الدكتور (لويس) سطح المكتب براحته ، صائحًا :

ــ كف عن هذا ، وإلا وضعتك فى قســـم المرضى الخطرين ، وتصرف كطبيب محترف ، وليس كشيخ طريقة .

أطلق الدكتور (وحيد) زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماقه ، وهو يقـــول فى يأس :

ــ من الواضح أنه مستحيل إقناعك يا دكتور (لويس)

Looloo
www.looloolibrary.com

تراجع المدير فى مقعده ، قائلاً فى حزم :

ــ لأن كلامك غير علمى .

ضم (وحيد) شفتيه فى قوة بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ فليكن ... ماذا إذن عن الإجراء الذى طلبته ؟!

بدت ابتسامة ساخرة ، على شفتى الدكتور (لويس) ، وهو يقول :

ــ كاميرات مراقبة فى حجرة مريض ؟!... هل سبق وأن حـدث أمـر مشابه يا دكتور (وحيد) ؟!

قال (وحيد) فى حزم :

ــ ربما لأنه لم يحدث أن أصيب مريض بجرح قطعى تلقائى من قبل .

ظلَّ كلاهما يتطلَّع إلى عينى الآخر لحظـات ، قبـل أن يقـول الـدكتور (لويس) :

ــ فليكن يا دكتور (وحيد) ... سأسمح بهذا ، ولكن بصفة استثنائية ، ولمدة ثلاثة أيام فحسب .

غمغم (وحيد) فى ارتياح :

ــ وهذا يكفينى .

« وهل تعتقد أن هذا سيفيد ؟!... »

سأله الدكتور (أسامة) بلهجة خاوية ، وهو يراقـب الفنيـين ، وهـم يثبتون كاميرات المراقبة فى زنزانته الصغيرة ، فأجابه وحيد فى توتر :

ــ هذا هو كل ما باستطاعتى فعله .

وصمت لحظات ، قبل أن يضيف فى توتر :

ــ لابد وأن أعلم كيف حدث هذا .

غمغم (أسامة) :

ــ وأنا أيضًا .

التفت إليه (وحيد) ، يتطلع إليه لحظات ، قبل أن يسأله فى حذر :

ــ أما زلت تصر على تلك القصة العجيبة غير المترابطة ، التى رويتهـا لى ؟!

قلب (أسامة) كفيه ، مجيبًا :

ــ هذا كل ما لدى .

تنهَّد الدكتور (وحيد) ، وقال فى يأس :

ــ إنها قصة يصعب حتى استيعابها .

ابتسم (أسامة) ابتسامة مريرة ، وهو يغمغم :

ــ أليس لديك تفسير جنونى لها ؟!

التقط (وحيد) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى يأس :

ــ كان يمكننى أن أعطيك عشر تفسيرات ، لولا ذلك الجـرح القطعـى ، الذى رأيته ينشأ فى ذراعك أمام عينى .

تردَّد (أسامة) لحظات ، ثم غمغم :

ــ أخبرنى أنه الدليل على صحة روايتى .

Looloo
www.looloolibrary.com

تساءل الدكتور (وحيد) فى خفوت :

ــ ذلك الطويل الشاحب ؟!

أومأ (أسامة) برأسه إيجابًا ، فاستغرق الدكتور (وحيد) فى التفكير لحظات ، وهو يتطلَّع إليه مباشرة ، وكأنما يحاول قراءة شىء من ملامحه ، قبل أن يقول فى حذر :

ــ هل سألته مرة ، عن تفسير ما يحدث ؟!

أومأ (أسامة) برأسه ، وقال فيما يشبه الهمس :

ــ أجاب بأن هذا يفوق إدراكى .

كرَّر (وحيد) فى إصرار :

ــ هل سألته على نحو مباشر ؟!

اعتصر (أسامة) ذهنه ؛ محاولاً تذكُّر كل شىء ، عن مقابلاته العجيبة مع ذلك الشاحب ، قبل أن يغمغم :

ــ ليس على نحو مباشر .

اعتدل الدكتور (وحيد) ، وهو يقول فى حزم :

ــ سله إذن .

حدَّق فيه (أسامة) لحظات ، وهم بقول شىء ما ، عندما قال رئيس الفنيين فى توتر :

ــ انتهينا يا دكتور (وحيد) .

أشار إليه (وحيد) ، وهو يقول :

ــ انصرفوا ، وأغلقوا الباب .

انصرف الفنيون بالفعل ، ولكن قبل أن يغلقوا الباب ، ظهر ذلك الممرض القوى ، وهو يقول فى صرامة :

ــ زيارة للدكتور (أسامة) يا دكتور (وحيد) .

نهض (وحيد) ، وهو يقول فى توتر :

ــ فليكن ... سنكمل حديثنا بعد انصراف زوارك .

اتجه نحو الباب ، وقبل أن يبلغه ، التفت إلى (أسامة) ، مكررًا :

ــ سله .

ظلت الكلمة تتردَّد فى عقل (أسامة) ، وهو يجلس مع أمه و(ياسمين) والدكتور (عادل) ، حتى أنه بدا لهم شاردًا ، فسألته (ياسمين) فى حنان :

ــ ماذا بك اليوم يا (أسامة) ؟!

ثم ارتبكت ، وهى تستدرك فى سرعة :

ــ يا دكتور (أسامة) .

ربتت أمه على كتفها فى حنان ، ودفعت عجلات مقعدها فى صعوبة ، حتى تقترب منها أكثر ، وهى تقول :

ــ لست تبدو طبيعيًا اليوم بالفعل يا (أسامة) وسأله (عادل) فى قلق :

ــ هل تتناول دواءك بانتظام ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

حاول (أسامة) أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ــ أنا بخير ... مرهق الذهن بعض الشىء فحسب ، و ....

لم يكن قد أتم عبارته بعد ، عندما انسحب جسده فجأة ...

وعلى نحو بالغ العنف هذه المرة ....

شعرت بارتجاج عنيف فى رأسه ، وبعينيه تكادان تنفجران ، مما جعلـه يهتف ، وهو يمسك جانبى رأسه فى قوة :

ــ ليس هكذا .

فجأة ، ومع هتافه ، تلاشى كل شىء من حوله ...

وظهرت القاعة الواسعة ...

وظهر الشاحب ...

كان يجلس هادئًا ، مبتسمًا ، على مسافة متر واحد منه ، وعقله يرسل رسالة كالمعتاد :

ــ ما زلت حائرًا .

حدّق (أسامة) فيه لحظات ، ودوت كلمة الدكتور (وحيد) فى رأسه ، فنقلها فى سرعة ، من عقله إلى لسانه :

ــ ماذا يحدث بالضبط ؟!... أريد أن أعرف ... وبوضوح .

صمت الشاحب لحظات ، وهو يتطلع إليه ....

« أشك فى قدرتك على الاستيعاب ... »

استقبل عقل (أسامة) الرسالة ، فهتف فى عصبية :

ــ جربنى .

« القرار ليس قرارى ... »

هتف (أسامة) ، وقد تضاعفت عصبية :

ــ قرار من هو إذن .

« قرارهم .... »

بكل الحيرة والتوتر ، غمغم (أسامة) :

ــ قرارهم ؟!... من تقصد ؟!..

« وبم أجابك ؟!... »

ألقى عليه الدكتور (وحيد) السؤال ، فى لهفة وشغف ، فهز (أسامة) رأسه ، الذى ما زال يشعر بثقله ، وأجاب فى توتر :

ــ لم يجب .

تراجع (وحيد) فى إحباط ، وهو يتساءل متوترًا :

ــ تجاهل الإجابة ؟!

لوّح (أسامة) بذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ــ اختفى ... فجأة ، وجدت نفسى أجلس مع أمى و(ياسمين) والـدكتور (عادل) ، وكلهم يحدقون بى فى دهشة ، ويسألوننى أين ذهبت .

هتف (وحيد) :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أين ذهبت ؟!... هل تعنى ...

قاطعه (أسامة) بإشارة من يده ، قائلاً فى سرعة :

ـ يقصدون حالة شرود ، انتابتنى لنصف دقيقة حسب وصفهم .

انعقد حاجبا (وحيد) ، وهو يغمغم فى تفكير :

ـ نصف دقيقة ؟!... هل استغرق لقاؤك به نصف دقيقة فقط ؟!

هزّ (أسامة) رأسه فى توتر :

ـ استغرق أكثر من هذا بالتأكيد .

بدا الدكتور (وحيد) شاردًا ، وهو يغمغم :

ـ ولكنه كان بالنسبة لهم نصف دقيقة ... نصف دقيقة فحسب !!

« هذا أمر طبيعى ... »

قالها الدكتور (لويس) بنفاد صبر ، وقلب كفه ، وهو يتراجع فى مقعده كعادته ، مع استطرادته :

ـ المصابون بانقسام الشخصية المتعدد ، يعانون دومًا من خلل الشعور بالزمـان والمكـان ، وهـذا المريض يحيا بخيـاله فى عوالم وهميـة ، لا يستطيع تقدير زمانها ومكانها .

غمغم الدكتور (وحيد) :

ـ أهذا ما تقوله المراجع الطبية ؟!

هزّ الدكتور (لويس) كتفيه ، مجيبًا فى رصانة :

ـ كلها بلا استثناء .

مال الدكتور (وحيد) نحوه ، متسائلاً فيما يشبه التحدى :

ـ وماذا عن باقى المراجع ؟!

بدت الدهشة على وجه الدكتور ، (لويس) ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ أية مراجع ؟!

اعتدل (وحيد) بحركة حادة ، مجيبًا فى لهجة أكثر حدة :

ـ المراجع الفيزيائية وما فوق الفيزيائيات ... ماذا تقول عـن الحالـة التى نواجهها ؟

قال الدكتور (لويس) ، فى صرامة غاضبة :

ـ نحن هنا أطباء فحسب .

رفع (وحيد) يده ، وهو يهتف :

ـ هذه هى المشكلة .

تراجع الدكتور (لويس) فى دهشة مستنكرة ، فعاد (وحيـد) يميـل نحوه ، مكملاً :

ـ نحـن نحصر تفكيرنا فى الطـب وأعراضـه فحسـب ، ولا نستطيع استيعاب أن الطب ليس العلم الوحيد ، الذى يحكم حياتنا .

هتف الدكتور (لويس) فى صرامة :

ـ الحالة التى تتحدث عنها هنا ، فى مصحتنا النفسية ، وهـذا يجعلها حالة طبية فقط ... حاول استيعاب هذه الحقيقة .

Looloo
www.looloolibrary.com

ضرب الدكتور (لويس) سطح مكتبه براحته كعادته ، وهو ينهض فـى حركة حادة ، هاتفًا فى غضب :

ــ دكتور (وحيد) ... مـن الواضح أنك لم تعـد تصلح للعمل هنـا ، ولهذا ...

قبل أن يتم عبارته ، اندفع ذلك الممرض الضخم إلى الحجرة ، هاتفًا فى توتر شديد :

ــ دكتور (لويس) ... دكتور (وحيد) ... المريض الـ ... الـ .... مريضك يا دكتور (وحيد) .

التفت إليه وحيد بنصف دورة سريعة ، متسائلاً ، وقلبه ينبض فى قوة :

ــ ماذا به ؟!

هزَّ الممرض رأسه فى قوة ، وهو يقول ، وكل حرف من كلماته يحمـل ذروة التوتر :

ــ لا بد وأن ترى بنفسك ... لا بد .

« منذ متى وهو كذلك ؟!... »

ألقى الدكتور (لويس) السؤال بصوت مرتجف ، فأجاب الممرض ، فى صوت ينافسه ارتجافًا :

ــ لست أدرى ... ألقيت نظرة المراجعة المعتادة ، عبـر نافـذة البـاب الصغيرة ، فوجدته هكذا .

غمغم (وحيد) مبهورًا :

ــ ألم أقل لك ؟!... إننا أمام حالة خاصة ... خاصة جدًا .

قالها ، وثلاثتهم يحدقون فى جسد (أسامة) ، الراقد فوق فراشه .

وبالتحديد فوق فراشه ، وليس على فراشه ...

فقد كان جسده يرتفع عن فراشه ثلاثين سنتيمترًا ...

على الأقل ...

« لقد وافقوا .... »

تسللت تلك الرسالة إلى عقل (أسامة) ، وهو راقد على فراشه ، وسط تلك القاعة الواسعة الكبيرة ، والشاحب يجلس على مـسافة متـر منـه ، فغمغم :

ــ وافقوا على ماذا ؟!

« على منحك جزءًا من الحقيقة .. »

بدا وكأنه قد اعتاد هذا النوع ، من التخاطب العقل ، وهو يتساءل فـى استرخاء :

ــ جزء من الحقيقة ؟!... لماذا ليست الحقيقة كلها ؟!

« لأنه هناك جزء من الحقيقة ، لا يمكنك ولا يمكن لجنسك كله استيعابه ... ليس بعد .. »

لم يشعر بأى توتر ، لما تحمله الرسالة العقلية من عبارات ، ينبغـى أن تستوقفه ، وإنما تساءل فى اهتمام :

ــ متى إذن ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

« بعد جيلين من الآن ... »

غمغم (أسامة) ، وجسده يسترخى أكثر وأكثر :

ـ سأكتفى بالمتاح حاليًا .

« ما سر مرض والدتك ؟!... »

شعر بدهشة شديدة ، جعلته يتساءل :

ـ ما شأن والدتى بهذا ؟!

« ما سر مرضها ؟!... »

كرَّرها الشاحب فى إصرار ، فهز (أسامة) رأسه فى قوة ، وأجاب بكل توتر ، على نحو سحق استرخاءه تمامًا :

ـ كانت تعانى من ضعف شديد ، وحقنها طبيب سويسرى بعقار جديد ، المفترض أن يعيد النشاط والحيوية للجسد ، ولكن اتضح أنها مصابة بحساسية مفرطة للعقار ... تم إسعافها من النتائج المباشرة بمعجزة ، ولكن حالة الضمور بدأت تصيب عضلاتها وأعصابها ، منذ ذلك الحين .

« وماذا لو أنه لم يتم حقنها بذلك العقار الجديد ؟!... »

زفر (أسامة) فى ألم وتوتر ، وهو يجيب فى حزن مرير :

ـ منذ سنوات ، أحاول استبعاد الاحتمال عن ذهنى ؛ لأننى أشعر بالمسئولية عما أصابها ، وضميرى لا يحتمل التفكير فى هذا ؛ فأنا من اتخذ قرار حقنها .

وانهمرت الدموع من عينيه ، وهو يضيف :

ـ كنت أتصوَّر أننى أصنع ما يفيدها ، ولم أتصور أن .... أن ... أجهش بالبكاء دفعة واحدة ، فلم يستطع إكمال عبارته ...

« قرار واحد إذن ، غيَّر مسار حياتك كلها ... »

هتف فى انهيار :

ـ قرار خطأ .

« وماذا لو أنك ، فى عالم آخر ، اتخذت قرارًا عكسيًّا ؟!... كيف سيكون مسار حياتك عندئذ ؟!... »

شعر باختناق ، وهو يهتف فى ضيق :

ـ لماذا تصر على الاستمرار فى هذه النقطة ؟!

« لأنها موضوع التجربة كلها ... »

انتفض جسده ، وهو يهتف :

ـ أية تجربة ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى شعر بجسده ينسحب وينسكب فى سرعة وقوة ، وبأنه يهوى ، ثم يرتطم بجسم لين ، له ملمس فراشه ...

ومع آهة ألم قوية ، فتح عينيه ، لتصدمه عدة عيون تحدق فيه ، فى رعب وذهول ...

« كيف فعلتها ؟!... »

Looloo
www.looloolibrary.com

هتف الدكتور (لويس) بالسؤال ، فى توتر ما بعده تـوتر ، وأضـاف الدكتور (وحيد) ، وصوته يرتجف من فرط الانفعال :

ــ ما هذه الظاهرة الجديدة ؟!

اعتدل محاولاً الجلوس ، وهو يتساءل بكل التوتر :

ــ أية ظاهرة ؟!

هتف الممرض الضخم ، وهو يرتجف مثل كتكوت مبتل :

ــ ألم تدر ماذا فعلت ؟!... لقد كنت تطير يا رجل .

واتسعت عينا (أسامة) عن آخرهما ...

فقد كانت صدمة جديدة ...

وعنيفة ...

جدًا .

* * *

الفصـل الخامس

« ما رأيك يا دكتور (لويس) ؟!... »

قالها الدكتور (وحيد) ، فى هدوء يحمل نبرة تحدٍّ ، فرفع إليه الدكتور (لويس) عينين محمرتين ، مغمغمًا فى إحباط :

ــ لست أدرى !!... حقًّا لست أدرى !!

فرد (وحيد) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ــ هل ستستمر فى التعامل مع الحالة ، باعتبارها مرض نفسى فحسب ؟

خفت صوت الدكتور (لويس) ، وهو يهمس :

ــ كلا .

ثم استدرك بعد نوبة سعال قصيرة :

ــ لقد أبلغت المسئولين .

كادت عينا الدكتور (وحيد) تقفزان من محجريهما ، وهو يهتـف فـى لهجة جمعت ما بين الاستنكار والغضب :

ــ أبلغت من ؟!

أجابه الدكتور (لويس) فى عصبية :

ــ المسئولين يا دكتـور (وحيـد) ... نحـن مجرد أطباء فى مصحة نفسية ... هذا الأمر يفوق إدراكنا بكثير .

Looloo
www.looloolibrary.com

هتف (وحيد) فى مرارة :

ــ وإدراكهم أيضًا ... ألم تستوعب هذا ؟!

فقد الدكتور (لويس) أعصابه ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته على عادته ، صائحًا :

ــ ولكنهم يمتلكون ما لا نمتلكه هنا .

ضرب (وحيد) سطح المكتب بدوره ، صارخًا :

ــ لو جاءوا ، سأنكر كل ما حدث هنا .

« فات أوان هذا أيها الطبيب .. »

صدمة صوت خشن من خلفه بالعبارة ، فاستدار إلى صاحبه فى حركة حادة سريعة ، ورأى أمامه رجلاً أسمر ، نصف أصلع ، يكمل فى صرامة :

ــ لقد وصلنا بالفعل .

ومن خلفه ، لمح (وحيد) ، عبر الباب المفتوح ، عددًا من الجنود ، فى ملابس الميدان ، يتحركون فى كل الاتجاهات ، وسط فزع واضطراب العاملين فى المصحة ، فهتف فى غضب محتد :

ــ إنها ليست حربًا ، تلك التى تشنونها هنا أيها المسئول .

ابتسم الأسمر ابتسامة ساخرة ، وهو يقول بنفس الصرامة الخشنة :

ــ من يدرى ؟!

ثم أدار عينيه إلى الدكتور (لويس) ، مستطردًا فى صرامة خلت من أية لمحة ساخرة :

ــ أين ذلك الـ ... الشىء ؟!

اندفع (وحيد) فى حدة :

ــ ذلك الشىء طبيب زميل ، واسمه الدكتور (أسامة) :

كرّر الأسمر فى خشونة قاسية :

ــ من يدرى ؟!

قبل أن يندفع (وحيد) مرة أخرى ، نهض الدكتور (لويس) من خلف مكتبه ، وهو يقول فى توتر شديد :

ــ سأقودك إليه يا سيدى .

كانا يسيران معًا فى خطوات سريعة ، عبر ذلك الممر ، الذى يقود إلى حجرة (أسامة) ، والدكتور (وحيد) يعدو تقريبًا خلفهما ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ ما تفعلونه خطأ ... أوكد لكما أنه خطأ .

تجاهله كلاهما تمامًا ، والأسمر يسأل فى صرامة :

ــ أهذه هى ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

أجابه الدكتور (لويس) فى توتر يتزايد :

ــ هذه هى .

ثم أشار إلى ذلك الممرض الضخم :

افتح الحجرة .

تردَّد الممرض لحظات ، وجسده يرتجف على نحو ملحوظ ، فصاح به الأسمر :

ــ افتحها .

حسمت صيحته الموقف ، فاندفع الممرض نحو الحجرة ، وفتحها ، ثم تراجع فى سرعة ، وكأنه يفر من شبح ، فى حين تقدَّم الأسمر والدكتور (لويس) من الحجرة ، ثم تسمرا فى مكانيهما ، على نحو جعل (وحيد) يندفع ؛ لرؤية ما سبَّب لهما هذا ...

وانتفض جسده كله فى عنف ، مع اتساع عينيه عن آخرهما ...

فالمفاجأة كانت صدمة ...

مذهلة ...

« ما هذا المكان ؟!... »

قالها (أسامة) فى توتر شديد ، وهو يدير عينيه فى تلك القاعة الواسعة ، التى يجلس مع ذلك الشاحب فى منتصفها ، وكل خلية فى جسده تنتفض ...

« ما تراه من حولك ، ليس حقيقة ما يحيط بك .... »

هتف (أسامة) فى عصبية :

ــ أخبرتنى من قبل إنه حقيقى .

« إنه الحقيقة ، التى يستطيع عقلك البشرى استيعابها .... »

صدم الجواب (أسامة) ، فارتعد جسمه ، وهو يغمغم :

ــ أيعنى هذا أنك لست بشريًا ؟!

« كلا ... لست كذلك ... ولست كائنًا من عالم آخر أيضًا ، حتى لا ينطلق بك الخيال ... »

هزَّ (أسامة) رأسه فى قوة ، صائحًا :

ــ ماذا أنت إذن ؟!

« تعليماتى أن تصل إليك الحقيقة تدريجيًا ، حتى لا ينهار عقلك ... »

عاد يهز رأسه فى قوة ، ويهتف فى إحباط :

ــ ما تفعلونه كفيل بتدمير عقلى تمامًا .

توقفت الرسائل العقلية بضع لحظات ، أصابت (أسامة) بتوتر بالغ ... جعله يهتف :

ــ الصمت ليس جوابًا ، أيًا كانت ماهيتك .

Looloo
www.looloolibrary.com

« ماذا تعرف عن الكون المحيط بك ؟!... »

أدهشه السؤال ، فقال فى عصبية :

ــ أهذا امتحان معلومات عامة أم ماذا ؟!

« ماذا تعرف عن الكون المحيط بك ؟!... »

مع تكرار السؤال ، بنفس النبرة الخالية من الانفعال ، زفر (أســامة) فى قوة ، وأجاب فى عصبية :

ــ أعرف عنه ما درسته فى المرحلة الثانوية فحسب .

« لا وجود للكون الذى تعرفه ... »

رجَّه الجواب من الأعماق ، فحدق فى وجه الشاحب طـويلاً ، قبـل أن يهتف فى حدة :

ــ أى عبث سخيف هذا ؟!

« مصطلح الكون غير صحيح ... المصطلح الحقيقى هو الأكوان ... »

كل رسالة عقلية كانت تزيد من دهشته وتوتره ، فعـاد يحدق فى وجه الشاحب ، قبل أن يغمغم ، وقد انكسرت حدته كثيرًا :

ــ لا يمكننى استيعاب هذا .

« العلماء عندكم توصلوا إلى هذه الحقيقة ، حتى أنهم استبدلوا مصطلح (Universe) بمصطلح (Multiverse) ، وإن لم يدركوا أبعـاد كشفهم هـذا بعد .. »

شعر (أسامة) بعقله يكاد ينفجر ، وهو يغمغم فى انكسار :

ــ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

« أنه توجد عدة أكوان متوازية ، كلها تحتل المساحة نفسها ، ولكن كل منها لا يشعر بوجود الآخر .. »

هزَّ (أسامة) رأسه فى قوة :

ــ هذا يفوق إدراكى .

« ولكنه حقيقة علمية ، أثبتها علماؤكم ... حقيقـة تحكم سلسلة مـن القوانين الفيزيائية ، لم تكتشفوا أكثـر مـن ربعها بعـد ، على الرغم من تصوركم أنكم قد بلغتم ذروة العلم .... »

احمرت عينا (أسامة) ، ودارتا فى محجريهما ، دلالة على تلك العاصفة العاتية ، التى انطلقت فى عقله ، وعجز عن التفوه بحرف واحد .... »

« ألم تسأل نفسك يوماً لماذا تتحدثون دومًا عن سبع سـماوات وسـبع أراضٍ ؟!... »

غمغم (أسامة) ، وهو يشعر أنه يخوض بحرًا متلاطم الأمواج :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ إنه مصطلح دارج ، و ...

« بل هو حقيقة ، نقلها الأقدمون ، ورددها من بعدهم ، دون أن يدركوا فحواها ومعناها ... »

غمغم (أسامة) ، وقد شعر أنه على وشك فقدان الوعى .

ــ سبع سماوات ... سبع أراضى !!!

« هناك سبعة أكوان متوازية ، تسير فيها الأمـــور على النحو نفـــسه ، وكأنهـــا مستنسخة ، من بعضـــها البعض ، بـــنفس التـــاريخ والأحـــداث والشخصيات .... »

كاد يبكى ، وهو يغمغم :

ــ هذا يفوق إدراكى .... يفوقه بكثير .... جدًا .

« هذا يعنى أنه توجد سبع نسخ من كل شىء هنا ... أنت نفسك ، توجد منك سبع نسخ ، كلها تسير على النحو نفسه ، وتفعل الشىء نفسه ، فـــى اللحظة نفسها ... »

أمسك (أسامة) جانبى رأسه بكفيه فى قوة ، وهو يخفـــض عينيـــه ، ويقول فى صوت ، أصابه الدوار كرأسه :

ــ سبع نسخ منى ؟!... هذا أكثر جنونًا ، حتى من أفلام الخيال العلمى .

« وهذا هو موضوع التجربة ... »

استقبل عقله الرسالة ، فرفع عينيه إلى الشاحب فى حركة حادة ...

وخفق عقله فى قوة ...

و ...

« أين ذهب ؟!... »

ألقى الأسمر السؤال فى صرامة قاسية ، وهو يواجه الدكتور (وحيد) ، والدكتور (لويس) وذلك الممرض الضخم ، فامتقع وجه الدكتور (لويس) فى شدة ، وهو يقول فى صوت فاض ذعرًا :

ــ أقسم أننى لست أدرى حتى كيف حدث هذا ... الحجرات كلهـــا يـــتم إغلاقها ، ولا يوجد لكل حجرة سوى مفتاح واحد ، والممر نفـــسه مـــؤمَّن بأبواب مغلقة من الجانبين ، والحجرة كما رأيتها ، ليست بها سوى نافـــذة واحدة ، ذات قضبان فولاذية ، تأكَّدتم أنها سليمة لم تمس ، و ...

لم يمهله الأسمر حتى يكمل حديثه ، وهو يستدير إلى الممرض الضخم ، ويسأله فى قسوة :

ــ والمفتاح الوحيد تحمله أنت ... أليس كذلك ؟!

تراجع الضخم فى ذعر شديد ، وهو يهتف ملوحًا بيديه :

ــ لم أقترب من الحجرة ... أقسم لكم ... لقد أغلقتها فى إحكام ، منـــذ رأينا ذلك الرجل يطير فوق فراشه .

Looloo
www.looloolibrary.com

زمجر الأسمر ، قائلاً فى حدة :

ــ هل تسلَّل من بين القبضان إذن ؟!

تضاعف ذعر الضخم ، وهو يهتف :

ــ من يدرى كيف فعلها يا باشا ؟!... لقد ألقيت نظرة عبر نافذة البـاب الصغيرة ، وتأكَّدت من وجوده فى الحجرة ، عندما وصلتم إلى هنا .

صاح الأسمر فى غضب عصبى :

ــ لا تحاولوا إقناعى أنه تبخَّر !!

قال الدكتور (وحيد) فى توتر :

ــ لو أنك لست مقتنعًا ، فلماذا أنت هنا ؟!

أدار الأسمر عينيه إليه ، وهو يصيح فى تحفز :

ــ مقتنع أنه تبخَّر ؟!

قال الدكتور (وحيد) فى شىء من الحدة :

ــ مقتنع بأن ما يحدث لذلك المريض بالذات ، يفوق قـوانين الفيزيـاء المعروفة .

انعقد حاجبا الأسمر فى شدة ، وهو يقول فى صرامة ، تسلَّل إليها شىء من الشك :

ــ ليس إلى حد أن يتبخَّر .

استعار (وحيد) أسلوبه ، وهو يقول فى تحد :

ــ من يدرى ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الأسمر فى شدة ، وهو يزمجر ، قائلاً :

ــ الحالة كانت فى عهدتكم ، وسجلات المصحة تثبـت هـذا ، وعنـدما تختفى ، فهى مسئوليتكم تمامًا .

هتف الدكتور (لويس) فى هلع :

ــ كيف ؟!... الاختفـاء كان أشبه بألعـاب السحرة والحـواة ، فكيـف نحاسب عليه ؟!

زمجر الأسمر مرة أخرى ، وهو يقول بكل صرامة :

ــ هناك من لا بد وأن يتحمل المسئولية ... ولن يكون أنا .

فجأة ، انفجر الدكتور (وحيـد) مقهقهًا ، على نحـو أدهش الـدكتور (لويس) والممرض الضخم ، واستفز الأسـمر ، الذى صـاح فيه بكـل الغضب :

ــ ما الذى يضحكك ؟!

واصل (وحيد) ضحكاته ، التى حملت سخرية واضحة ، وهو يقول :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ألا ترى السخرية فى هذا ؟!... نواجه ظاهرة فوق طبيعية مذهلـــة ، وكل ما يشغلك هو المسئولية !!

احتقن وجه الأسمر ، وهو يصيح فيه :

ــ ألا تشغلك أنت ؟!

هزَّ الدكتور (وحيد) رأسه نفيًا فى بطء ، مجيبًا فى صرامة :

ــ مطلقًا .

غمغم الدكتور (لويس) فى عصبية :

ــ لأنك لست مسئولاً .

بدا الدكتور (وحيد) شرسًا ، وهو يقول :

ــ بل لأننى رجل علم ، كل ما يهمه هو الوصول للحقيقة ، وليس الفرار من مسئولية سخيفة .

حدَّق الأسـمر فيـه بضـع لحظـات ، فى شراسة شـديدة ، ثم صاح فيه :

ــ أنت تعلم أين هو .

أطلق (وحيد) ضحكة ساخرة قصيرة ، قائلاً :

ــ أهذه وسيلتك للفرار من المسئولية ؟!

بدا وكأن الأسمر لم يسمع تعليقه ، وهو يندفع نحـوه ، صـائحًا بكـل شراسة وقسوة :

ــ أنت ساعدته على الفرار من هنا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على ركن شفتى الدكتور (وحيـد) ، وهـو يقول :

ــ متى أيها العبقرى ... الممرض أكَّد أنه كان موجودًا ، عندما اقتحمتم المكان ، فمتى فعلتها ؟!

بدت حيـرة متوترة ، على وجـه الأسمر ، وارتبك الدكتور (لـويس) بدوره ، وغمغم :

ــ هذا صحيح .

صمت الأسمر لحظات ، ثم التفت إلى الممرض الضخم فـى شراسـة ، هاتفًا :

ــ التفسير المنطقى الوحيد ، هو أنك كاذب .

فـوجئ بالممـرض الضـخم يطـلق شـهقة رعـب قوية ، وتتسـع عينـاه عن آخرهما ، وهو يتراجع فى حركة حادة ، جعلته يـرتطم بأحـد مقـاعد الحجـرة ، ويسقط معه أرضًا ، فالتفت الكل إلى حيث يحدق بكـل رعبه ، واتسـعت عينـا الأسمر عن آخرهما ، ويده تقفـز إلى مـسدسه

Looloo
www.looloolibrary.com

بحـركة غريزية ، وصرخ الدكتـور (لويس) ، فى حين فغـر الـدكتور (وحيد) فاه فى ذهول ...

فأمام ثلاثتهم ، كانت هناك صدمة مذهلة ...

جديدة .

* * *

الفصل السادس

« من أنتم ؟!... ما هذا المكان ؟! ... وماذا أفعل هنا ؟!... »

ألقى (أسامة) هذه الأسئلة الثلاثة ، وهو يحدِّق فـى وجـوه الرجـال الأربعة ، فى مكتب الدكتور (لويس) ، الذى راح جسده يرتجـف مـع صوته ، وهو يتراجع فى رعب ذاهل ، مرددًا :

ــ مستحيل !!... مستحيل !!

كان الأربعة يحدقون فى (أسامة) ذاهلين ، معقودى الألسن ، وأول من تجاوز هذه الحالة منهم كان ذلك الأسمر ، الذى هتف فى توتر بالغ :

ــ أى عبث شيطانى هذا ؟!... كيف وصلت إلى هنا ؟!

هتف به (أسامة) فى عصبية :

ــ أتسألنى ؟!... السؤال لكم أنتم ... كيف أتيتم بى إلى هنا ؟!

كان صـوت الدكتور (وحيد) يرتجف ، وهو يسأله ، محاولاً السيطرة على أعصابه بقدر ما استطاع :

ــ دكتور (أسامة) ... هل تعلم من أنت بالضبط ؟!

تضاعفت عصبية (أسامة) ، وهو يهتف :

ــ ماذا يحدث هنا ؟!... هل جُننتم جميعًا ؟!... ألا تعلمون من أنـا ؟!... أنا الدكتور (أسامة عزت) ، طبيب القلب الخاص بالسيد رئيس الوزراء ... أجروا اتصالكم به ، وسيخبركم بنفسه من أنا ...

Looloo www.looloolibrary.com

شهق الممرض الضخم ، واندفع يغادر الحجرة عدوًا ، دون أن ينتظر إذنًا من أحد ، فى حين غمغم الدكتور (لويس) :

ــ إنه يتقمص شخصية أخرى .

استفزت العبارة الدكتور (أسامة) أكثر ، فهتف فى حدة :

ــ أية شخصية أيها المأفون ؟!... أنا الدكتور (أسامة عزت) ، صاحب مركز (أسامة) الطبى ... اتصلوا بأمى ، أو بزوجها الدكتور (وفيق) ... اتصلوا بزوجتى (ياسمين) ، وستخبركم من أنا .

تراجع الدكتور (وحيد) بدوره ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ يا إلهى !... يا إلهى .

أما الأسمر ، فقد قال فى صرامة ، حملت كل عصبيته :

ــ أنت كاذب ، ملفك لا يحوى شيئًا مما قلت ... سوى اسمك ، لو شئنا الدقة ... أنت لا تملك المركز الطبى ، بل تعمل فيه فحسب ، ولست متزوجًا ، ولا أمك كذلك ... بكل بساطة ، لأنها مقعدة بمرض لا شفاء منه .

اتسعت عينا (أسامة) فى ذهول ، وهو يحدّق فيه ، قبل أن يهتف بكل عصبيته :

ــ من الواضح أنك تخلط بينى وبين آخر ... اتصل برئيس الوزراء ... هيا افعل ... أو بشريكى الدكتور (عادل) .

مال عليه الأسمر ، وهو يقول ، فى عصبية نافست عصبيته :

ــ لست بحاجة للاتصال بأحد ؛ فلو أنك حتى تصافح رئيس الوزراء ، لكان لدينا ملف كامل المعلومات عنك ... وهل تعلم شيئًا ... لا وجود لهذا الملف على الإطلاق .

اتسعت عينا أسامة عن آخرهما ، وراح يهزّ رأسه فى قوة ، مغمغمًا بكل توتر الدنيا :

ــ هذا جنون ... أهو كابوس ... نعم ... حتمًا هو كابوس ، سأستيقظ منه بعد قليل ، و ...

قاطعته صفعة قوية ، هوت على وجهه ، وجعلت الدكتور (وحيد) يصرخ فى الأسمر فى غضب :

ــ ليس هذا من حقك ... الاستجواب شىء ، والعنف شىء آخر ... وغير مقبول إطلاقًا .

تجاهله الأسمر تمامًا ، وهو يميل على (أسامة) ، قائلاً فى حدة قاسية :

ــ هل أيقنت الآن من أنه ليس كابوسًا ؟!

على الرغم من قوة الصفعة ، رفع (اسامة) عينيه إليه فى هدوء عجيب ، وقال فى صوت حمل حزمًا مخيفًا :

ــ ستدفع ثمن هذا غاليًا .

اعتدل الأسمر بحركة حادة ، وخاصة عندما بدا صوت (أسامة) أشبه بالصدى ، وهو يضيف :

ــ فى هذا الكون أو فى غيره .

Looloo
www.looloolibrary.com

« حسمت كثيرًا من الأمور ، بعبارتك الأخيرة ... »

انتفض جسده ، كما لو أنه يستيقظ من كابوس عجيب ، والتفت فى دهشة إلى الشاحب ، الذى يجلس هادئًا إلى جواره ، فى تلك القاعة العجيبة ...

لم يشعر أنه يستيقظ من كابوس فحسب ، وإنما من عقل رجل آخر أيضًا ، مما جعله يهتف فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟!... للحظات تصورت أننى ...

« شخص آخر ... أليس كذلك ؟!... »

حدَّق (أسامة) فيه ، وهو يغمغم ، فى دهشة متوترة :

ـ كيف خمنت هذا ؟!

« التخمين ليس سمة من سماتى ... أتعامل مع الحقائق فقط ... »

هز (أسامة) رأسه فى قوة ، وهو يهتف :

ـ فسر لى ما حدث إذن ، فى ضوء الحقائق وحدها .

« المشكلة أن الحقائق تحمل بعض التفاصيل ، التى ليس باستطاعتك استيعابها بشكل واضح بعد ... »

شعر بغضب شديد ، جعله يصرخ :

ـ لماذا التعالى والغطرسة على هذا النحو ؟!... لماذا تتصور أنه ليس باستطاعتى فهم أو استيعاب أى شىء ؟!

« هذا ليس عيبًا ... حتى أعظم أساتذة الهندسة ، قد يعجز عن فهم واستيعاب بعض الأمور البسيطة ، فى جراحة المخ مثلاً ، و .... »

قاطعه فى عصبية :

ـ كفاك تحليلات علمية ... أريد فهم ما يحدث ... ابحث عن وسيلة بسيطة لشرحه فحسب .

« لا توجد وسيلة بسيطة للشرح ، ولكننى سأحاول ... »

أجابه فى عصبية :

ـ هذا يكفى .

« الرجل الذى كنته ، ليس غريبًا عنك ، فهو أنت ... »

هتف بكل الدهشة :

ـ أنا ؟!

« ولكن من كون مواز ... »

قال فى عصبية بالغة :

ـ أهذا هو التبسيط ، من وجهة نظرك ؟!

لم يبد أن عبارته قد تركت أى أثر عند الشاحب ، الذى تواصلت رسالته العقلية دون انقطاع ...

« فعلى عكس العلماء فى زمنك ، اعتبرنا الأكوان المتوازية أعظم كشوف الحياة ، خاصة وأننا لم ندرك فى البداية الغرض أو الحكمة من وجودها ، وأنشأنا مؤسسة علمية كاملة ؛ لدراستها ومحاولة كشف أسرارها ... »

غمغم (أسامة) فى إحباط :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ يبدو أنه من الأفضل أن أكتفى بالاستماع فحسب ...

« أخبرتك مــن قبـل أن الأحــداث كلها تسير متوازية ، فى الأكــوان السبعة ... »

غمغم (أسامة) :

ــ أجل ... لقد فعلت .

« تجربتنا كانت تعتمد على كسر هذا التوازى ... »

اعتدل (أسامة) فى حركة حادة ، هاتفًا بكل الدهشة :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!

لم يكد يلقى سؤاله ، حتى شعر بجسده ينسكب فى عنف ، فأغلق عينيه فى قوة ، وهو يهتف فى توتر وألم :

ــ لا ... ليس ثانية !!

« ما هو الذى ليس ثانية ؟!... »

حدَّق (أسامة) فى وجه الأسمر ، الذى يميل عليه فى شدة ، وقال فــى دهشة متوترة :

ــ من أنت ؟!

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا فى دهشة أكثر توترًا :

ــ وماذا أفعل هنا ، فى حجرة الدكتور (لويس) ؟!

غمغم (لويس) فى عصبية :

ــ شخصية جديدة .

وتساءل (وحيد) فى حذر :

ــ دكتور (أسامة) .... هل عدت إلينا ؟!

سأله (أسامة) فى دهشة :

ــ عدت من أين ؟!... وكيف جئت إلى هنا ؟!

التقط الأسمر نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وهــو يتساءل فى صرامة ، أراد أن يخفى بها توتره :

ــ كيف تفعل هذا ؟!

أدار (أسامة) عينيه إليه ، قائلاً فى توتر :

ــ لم تخبرنى بعد من أنت !!

شدَّ الأسمر قامته ، وهو يقول فى توتر ، لم يستطع كبحه :

ــ أنا أنتمى إلى جهة سيادية .

مال (أسامة) نحوه ، قائلاً فى عصبية :

ــ وماذا تريد منى جهتك السيادية ؟!

شدَّ الأسمر قامته أكثر ، وقال فى صرامة :

ــ دكتور أسامة ... أنا رجل شاهد الكثير ، واختبر الأكثر فى حياتــه ، وألعاب الحواة ، التى تقوم بها هنا ، لن تنجح فى إبهارى ، كما تفعل مــع الآخرين .

Looloo www.looloolibrary.com

تطلع إليه (أسامة) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى بطء :

ــ ألعاب حواة ؟!..

مرت لحظة ، بدا خلالها أنه سيكتفى بالقول ، قبل أن يكرره فـى حـدة غاضبة :

ــ ألعـاب حـواة ؟!... أهذا آخر ما يتفتق عنه ذهنك المحدود ، يا من تنتمى إلى جهة سيادية ؟!

زمجر الأسمر ، قائلاً فى صرامة :

ــ هذا هو التفسير المنطقى الوحيد لما يحدث .

هتف به (أسامة) فى حدة :

ــ وماذا عن التفسير العلمى ؟!

انعقد حاجبا الأسمر ، وهو يتطلع إليه فى شك حـذر متـوتر ، فتـابع (أسامة) بنفس الحدة :

ــ هل سمعت يومًا عن الأكوان المتوازية ؟!

انتبه الدكتور (وحيد) على نحو ملحوظ ، مع سماعه السؤال الأخير ، واعتدل يسأل فى لهفة :

ــ ماذا عنها ؟!

بدت الحيرة على وجه (أسامة) ، وتراجع فى مقعده ، وهو يفقد حدته ، متمتمًا :

ــ لها علاقة بما يحدث ، على نحو أو آخر !!

ران الصمت على الحجرة ، عقب عبارته ، وتطلع الكل إليه ، وكل منهم يحمل شعورًا مختلفًا ، قبل أن يشد الأسمر قامته ، ويقول فى حزم صارم :

ــ دكتور (أسامة) ... ارتد ملابس لائقة ، فمنذ هذه اللحظة ، صـرت ملكًا لنا ، وستصحبنى إلى جهة ما .

تراجع (أسامة) فى مقعده ، وهو يقول فى عصبية :

ــ وماذا لو رفضت ؟!

انتزع الأسمر مسدسًا ، من جراب تحت إبطه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ فى هذه الحالة ...

قبل أن يكمل عبارته ، اندفع (أسامة) يقول فى غضب :

ــ ستقتلنى ؟!... هيا إذن .... أطلق النار .

بدا الأسمر عصبيًا ، وهو يقول :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!... هل ستقول لى إنه لديك وسيلة للإفلات مـن رصاصة ؟!

أجابه (أسامة) فى حذر :

ــ وماذا لو أجبتك بالإيجاب ؟!

صوَّب الأسمر مسدسه إليه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ستجبرنى على اختبار هذا .

أدار (أسامة) عينيه فيما حوله ، وبدا وكأنه يتحدث إلى شبح خفـى ، وهو يتساءل فى اهتمام ، حمل لمحة من القلق :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ أهناك وسيلة لهذا ؟!

تطلع إليه (وحيد) فى اهتمام بالغ ، وهو يسأله فى خفوت ملهوف :

ــ هل تسأله ؟!

التفت إليه الدكتور (لويس) ، بنظرة دهشة مستنكرة ، فى حين تساءل الأسمر ، وهو مازال يصوّب مسدسه إلى رأس (أسامة) :

ــ يسأل من ؟!... ماذا تعرف عن هذا الأمر ؟!

تجاهل (وحيد) نظرة الدكتور (لويس) ، وتساؤلات الأسمر ، وهـو يكرر ، وقد التهم فضوله العلمى إلتهامًا :

ــ هل تسمعه يا دكتور (أسامة) ؟!... هل تراه من حولنا ؟!

صاح به الأسمر فى صرامة :

ــ أنت شريكه فيما يحدث يا هذا ... أنت تـدبر معـه لعبـة الظهـور والاختفاء ، على نحو ما .

رماه الدكتور (وحيد) بنظرة استهجان ، ثم عاد يلتفت إلى (أسامة) :

ــ أهو ذلك الشاحب ؟!

أومأ (أسامة) برأسه إيجابًا فى حذر ، وغمغم :

ــ ولكننى لا أراه هنا ... إنه ليس شبحًا .

هتف (وحيد) بكل لهفته :

ــ ما هو إذن ؟!

أطلت نظرة حائرة ، من عينى (أسامة) ، وهو يهز رأسه نفيًا فى بطء ، فهتف الأسمر فى صرامة :

ــ الآن اتضحت اللعبة ... أنتما شريكان .

مطَّ (أسامة) شفتيه ، وهو يقول فى ازدراء :

ــ أنت لا تفهم شيئًا .

التفت إليه الأسمر بنظرة غاضبة ، وهتف به محتدًا :

ــ وهل تفهم أنت ؟!

غمغم (أسامة) :

ــ ليس بما يكفى .

رفع الأسمر مسدسه إلى رأس (أسامة) مرة أخرى ، وهو يهتف به :

ــ هذا يعيدنا إلى التجربة الأولى .

صاح (وحيد) فى غضب :

ــ هذه وحشية ... سأبلغ النائب العام ، لو أطلقت هذه الرصاصة .

أجابه الأسمر مزمجرًا :

ــ يمكنك اعتبارها تجربة ... علمية .

ومع آخر حروف عبارته ، ضغط الزناد ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وانطلقت الرصاصة ...

وأغلق (أسامة) عينيه فى قوة ...

فالصدمة ستكون حتمًا قوية ...

وقاتلة .

* * *

الفصـل الأخيـر

« لقد رأيت الأمر بعينى يا سيادة اللواء !!... رأيت ما يعجز عقلى عـن تفسيره وتصديقه !!... »

هتف الأسمر بالعبارة ، أمام رئيسه المباشر ، الذى تراجع فى مقعـده ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ماذا أصابك أيها العقيد ؟!... أهذا ما تدربت عليه ؟!... أن تنفعل إلى هذا الحد ، أمام خدعة متقنة .

هزّ الأسمر رأسه فى قوة ، قبل أن يقول :

ــ ما رأيته لم يكن خدعة يا سيادة اللواء ... لقـد أطلقـت رصاصـة مباشرة ، نحو رأس ذلك المدعو (أسامة) ، وسـيادتك تعلـم أنـه مـن المستحيل أن أخطئ إصابة هدف بهذا الحجم ، من مسافة كهذه .

قال اللواء بنفس الصرامة :

ــ ولكن هذا لا يعنى أنك لم تخطئ .

هتف الأسمر :

ــ لقد أصبت أهدافًا أدق ، من مسافات أبعد .

صاح فيه اللواء فى غضب :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لم تكن أهدافًا حية ، يعد إطلاق النار عليها جريمة ، حتى لمن يعمل فى مجالنا .

واحمرت عيناه ، وهو يضيف فى حدة :

ـ ولقد حدث هذا أمام شهود .

رفع الأسمر سبَّابته ، وهو يقول فى انفعال :

ـ وجود الشهود كان إيجابيًا ، فى هذه الحالة بالذات ؛ لأنهم رأوا ما رأيته .

ثم مال ، مستندًا براحتيه على سطح مكتب رئيسه ، مكملاً وانفعاله يتزايد :

ـ الرصاصة اتجهت نحو منتصف جبهته بالضبط ، وهو لم يتحرَّك من مكانه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تجاوزته الرصاصة ، وأصابت الجدار من خلفه مباشرة .

زمجر رئيسه ، قائلاً :

ـ هذا من حسن حظك ... لو أصابته ، لكنت خلف القضبان الآن .

هتف الأسمر فى حنق :

ـ أهذا كل ما فى الأمر ؟!... الرجل اختفى لجزء من الثانية ، عندما بلغت الرصاصة جبهته ، ثم عاود الظهور بعدها ، عندما تجاوزت موضعه .

قال مديره فى حدة :

ـ شاهدت بعض حواة التليفزيون ، يفعلون ما هو أكثر من هذا .

هزَّ الأسمر رأسه فى قوة مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ كلها خدع ، يتم الإعداد لها ، وتجهيز مسرحها مسبقًا ، أما ما شاهدناه جميعًا ، فكان حقيقة .

قال اللواء بكل الصرامة :

ـ من المستحيل أن أصدق هذا .

أطلق الأسمر زفرة حارة للغاية ، وهو يقول فى حنق :

ـ لأنك لم تر بنفسك .

قال اللواء فى حدة :

ـ وأنت تصورت أنك رأيت .

ثم نهض مستندًا إلى مكتبه ، ومتابعًا فى لهجة آمرة قاسية :

ـ لقد أصدرت أمرًا بالقبض على الفريق كله ... الدكتور (أسامة) ، والدكتور (وحيد) ، والدكتور (لويس) ، وحتى ذلك الممرض .

قال الأسمر فى عصبية :

ـ أنت تحاول دفن الأمر فحسب .

Looloo
www.looloolibrary.com

صاح فيه اللواء فى غضب :

ــ بل أريد الوصول للحقيقة ... ما يحدث هو خدعة متقنة ، يقوم بهـا الكل ، عبر مسرحية يلعبونها ، ويفترضون أن نكون نحن شهودها البلهاء .

شعر الأسمر باليأس ، وهو يقول :

ــ إننا بهذا نهدر فرصة نادرة ، لدراسة ما قد يكون أهم كشوف العصر .

قال اللواء فى صرامة غاضبة :

ــ هذا ما أرادونا أن نتصوره .

هز الأسمر رأسه مرة ثالثة فى يأس ، ثم قال كمحاولة أخيرة :

ــ لو أن الأمر يفوق إدراكنا ، ويتجاوز حدود صلاحيتنا ، فلماذا لا نستعين بطاقم من العلماء المتخصصين ، و ...

قاطعه فى حدة :

ــ لا ...

ثم أدار ظهره له ، وهو يضيف فى عصبية :

ــ الأمر يفوق صلاحياتك أنت أيها العقيد ، أما أنا ، فقد تلقيـت أوامـر عليا بهذا الشأن .

غمغم الأسمر ، فى دهشة مصدومة :

ــ أوامر عليا ؟!

تابع اللواء ، وكأنه لم يسمعه :

ــ لقد تم استبعادك من القضية ، ونقلك إلى مكتب (السويس) ، علـى أن تتسلم عملك فيه هذا المساء ، أما فريق المحتالين هذا ، فسيتم نقلهـم إلى سجن خاص ، فى الصحراء الغربية .

قال الأسمر فى توتر :

ــ هذا غير قانونى .

صمت رئيسه لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ رسميًا ، سيتم نقلهم إلى جهـة تحقيـق فحسـب ، ولكنهم سيسعون للفرار ، وهنا ...

لم يتم حديثه ، ولكن عينا الأسمر اتسعتا عن آخرهما ...

فقد كان الجزء ، الذى لم ينطقه رئيسه واضحًا ...

وربما أكثر مما ينبغى ...

« ولكن لماذا ؟!... »

ألقى (أسامة) السؤال على الشاحب ، وهما يجلـسان أمـام بعـضهما البعض ، داخل تلك القاعة الكبيرة ، وهو يشعر بتوتر ما بعده توتر ...

« لأن من أصدر الأوامر ، يعرف ما يحدث جيدًا ... »

Looloo
www.looloolibrary.com

أدهشت العبارة (أسامة) فى شدة ، فتراجع فى مقعده ، قائلاً فى عصبية :

ــ يعرف ؟!... وكيف يعرف ؟!... أنا نفسى لا أستطيع أن أزعم أننى أعرف .

« نحن ساهمنا فى وصوله إلى ذلك المنصب ، الذى يتيح له إصدار الأوامر ... »

صمت (أسامة) لحظات ، من فرط ذهوله ، وهو يحدّق فى ذلك الشاحب ، بارد الملامح والانفعالات ...

« فى حالته ، لم يكن هو موضوع التجربة ... »

شعر (أسامة) أنه سيواجه لغزًا جديدًا ، وهو يسأل فى حذر :

ــ من كان إذن ؟!

« بديله فى كون مواز ... »

طال الصمت بينهما هذه المرة ، وشعر (أسامة) وكأن مخه يغلى فى جمجمته ، مما جعله يعتدل ، قائلاً فى توتر ملحوظ :

ــ اسمع ... أنت تفترض دومًا أننى لن أستطيع فهم أو استيعاب ما يحدث ، ولكننى سئمت سلسلة الألغاز هذه ، وأطلب شرحًا مباشرًا ، وقابلاً للفهم ... أهذا واضح ؟!

شملهما الصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يعتدل الشاحب بدوره ...

« دراستنا للأكوان المتوازية ، أوصلتنا إلى حقائق مذهلة ، عن الزمان والمكان ... أهمها القدرة على نقل الإدراك ، من شخص فى كون ما ، إلى شبيهه فى كون آخر ، بحيث يشعر أنه قد تبادل الأدوار والمشاعر معه ... »

غمغم (أسامة) :

ــ هذا ما فعلتموه معى ... نقلتم إدراكى إلى كون مواز ؟!

« بل إلى عدة أكوان متوازية ... »

تراجع فى دهشة مستنكرة ، هاتفًا :

ــ ولكن لماذا ؟!

« فى تجربتنا السابقة ، لم نتمكّن من نقل الإدراك إلا من كون إلى آخر فحسب ، وعندما درسنا النتائج ، أدركنا أن الأمر يحتاج إلى وجود جين خاص ، لم يتوافر إلا فى عد محدود جدًا من البشر ... أنت أقواهم تأثيرًا »

حاول (أسامة) أن يستوعب الأمر ، وهو يغمغم :

ــ وماذا عن الآخرين ؟!

« تدخلنا فى أحد الأكوان ، لمنع شبيهك من اتخاذ قرار حقن والدته بذلك العقار ، الذى أدى إلى إصابتها بالضمور العضلى العصبى ، وفى كون آخر ، ساعدناه على اختيار عقار آخر ، أعاد إليها نشاطها وحيويتها ... »

Looloo www.dvd4arab.com

غمغم (أسامة) :

ــ ولهذا تزوجت الدكتور (وفيق) .

« بالضبط ... قرار واحد ، يمكن أن يبدل حياة كائن ومساره إلى الأبد ... »

تراجع (أسامة) فى مقعده ، وهو يتمتم :

ــ هذا صحيح ... لقد خبرت هذا بنفسى ... شبيه لى شيَّد المركز الطبى ، وآخر تزوج حبيبة عمرى ، وأنا ...

لم يكمل عبارته ، فظل الشاحب صامتًا ، لا يرسل أية رسـائل عقليـة ، مما جعل (أسامة) يتساءل :

ــ وماذا عن الآخر ؟! ... ماذا عمن أصدر ذلك القرار الوحشى ؟!

« كان فاشلاً فى حياته ، بسبب قرار خاطئ ، اتخذه فى مرحلة دراسـته الثانوية ، ولكننا منعنا شبيهه من اتخاذ ذلك القرار الخاطئ ، فى كونكم هذا ، وكانت النتيجة أن ظـل هو فاشلاً فى كونه ، وبلغ شبيهه فى كونك شـأنًا كبيرًا ... »

صمت (أسامة) لحظات ، محاولاً استيعاب هذا ، قبل أن يغمغم :

ــ هذا لا يبرر اتخاذه لقراره .

« علمونا لا تسمح لنا بنقل الإدراك مرحليًّا فحسب ، ولكن يمكننا جعلـه انتقالاً دائمًا أيضًا ... »

هتف (أسامة) بكل انفعاله :

ــ أتعنى أن مصدر القرار فى عالمنا ...

« هو فاشل الكون الآخر ... نعم ... لقد اختار أن يبقى وعيه هنا ، حتى يفيد من التقدم ، الذى حققه شبيهه ... »

قال (أسامة) فى عصبية :

ــ ويعانى من كافح حياة الفشل ؟!

« لن يدرك هذا .... سيحيا بعقل الآخر وإدراكه وكيانه ... »

هتف (أسامة) :

ــ ولماذا لم يحىَ من فى كوننا بعقل وإدراك شبيهه ؟!

« لأنه مر بالتجـربة مباشرة ، وما زالت علومنا عاجزة ، عـن محـو التجربة من عقل العينة الأساسية ... »

لم يرق مصطلح (العينة) هذا للدكتور (أسامة) ، فقال فى حنق :

ــ ومصرعى هنا ينهى الأمر ... أليس كذلك ؟!

نظر إليه الشاحب بنظرة خاوية ، و ...

« ترى أين يذهبون بنا ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

ألقى الدكتور (لويس) السؤال فى توتر شديد ، فزفر الدكتور (وحيد) فى عصبية ، وهو يغمغم :

ــ يقولون : إنهم سيستجوبوننا .

فتح (أسامة) عينه فى دهشة ، يحدق فيما حوله ...

كان يجلس مع طبيبى المصحة والممرض الضخم ، فى صندوق سـيارة ترحيلات مغلقة ، فى جو شديد الحرارة ، اشترك مع التوتر والخوف ، فى سيل من العرق ، غمر وجه وجسد الممرض الضخم ، وهو يقول فى شبه انهيار :

ــ إنهم يعتقلوننا ... أستطيع فهم هذا جيدًا .

هتف الدكتور (لويس) فى رعب :

ــ ولماذا يعتقلوننا ؟!... ماذا فعلنا ؟!

« لن يعتقلونا ... »

قالها هو فى هدوء عجيب ، لم يستطع استيعابه شخصيًا ، على الـرغم من أنه أضاف به :

ــ إنهم سيقتلوننا .

دوت كلماته كقنبلة ، داخل سيارة الترحيلات ، فاتسعت عيون الكل فـى رعب شديد ، وتساءل الدكتور (وحيد) ، فى صوت مرتجف :

ــ أهذا مجرد رأى يا دكتور (أسامة) ، أم ...

تطلع إليه (أسامة) لحظات فى صمت ، قبل أن يجيب بذلك الهـدوء ، الذى يدهشه هو نفسه فى شدة :

ــ أعلم أنهم سيفعلون .

صرخ الدكتور (لويس) فى انهيار :

ــ ولماذا يقتلوننا ؟!... إننا لم نفعل شيئًا .... لم نرتكب أية جريمة .

كان الرعب قد بلغ منهم مبلغه ، فى حين ظل (أسامة) علـى هدوئـه العجيب ، وهو يقول :

ــ ربما يرون أن معرفتكم ما يحدث ، هو جريمة فى حد ذاته .

تراجع الدكتور (وحيد) فى رعب هائل ، وهو يردد :

ــ يا إلهى ! ... يا إلهى !

مع قوله ، توقفت سيارة الترحيلات فجأة ، فصاح الممرض فى ذعر :

ــ سيفعلونها الآن ... سيفعلونها الآن .

انفتح الباب الخلفى لسيارة الترحيلات بالفعل ، وظهر عنـده جنـديان ، يحملان مدفعين آليين ، قال أحدهما فى صرامة :

ــ اهبطوا من السيارة .

Looloo
www.looloolibrary.com

تشبَّث الدكتور (لويس) بمقعده ، صارخًا :

ــ لن أهبط ... لن أهبط .

وبدأ ذلك الممرض الضخم يصرخ فى انهيار ، فى حين اتسعت عينا الدكتور (وحيد) عن آخرهما فى رعب ...

« ما دمتم تريدون أن تبقوا فلا بأس ... »

قالها أحد الجنديين فى قسوة ، وهو يصوب مدفعه إليهم ، فأغلق (أسامة) عينيه فى قوة ، وانتفض جسده مع دوى الرصاصات ، و ...

ولكن مهلاً ...

إنه ليس دوى رصاصات مدافع آلية ...

إنه دوى رصاصتين منفصلتين ...

« أأنتم بخير ؟!.. »

أطلَّ الأسمر عبر باب سيارة الترحيلات ، وهو يلقى السؤال فى لهفة قلقة ، سرعان ما حملت نبرة ارتياح واضحة ، عندما رآهم جميعًا سالمين :

ــ حمدًا لله .

هتف به الدكتور (وحيد) :

ــ أنت ؟!... تصورت أنك وراء هذا !!

لم يجب الأسمر ، وهو يفسح لهم الطريق ، قائلاً :

ــ هيا ... أسرعوا .

كان الجنديان ملقيين أرضًا مع مدفعيهما ، وقد أصابت كلاً منهما رصاصة ، وسيارة الأسمر على مقربة ، ولقد ناولا مفاتيحها للدكتور (أسامة) ، وهو يقول فى حزم :

ــ ابتعدوا فى اتجاه الغرب بقدر الإمكان ... لا أريدهم أن يعثروا عليكم ، قبل أن يتحرك المسئولون .

سأله (أسامة) فى اهتمام :

ــ ماذا فعلت ؟!

أجابه الأسمر فى حزم :

ــ ما يمليه علىَّ الواجب ... والضمير .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :

ــ لقد أبلغت النائب العام ، والسيد رئيس الجمهورية .

تطلع إليه (أسامة) لحظات فى صمت ، قبل أن يضع يده على كتفه ، قائلاً فى تأثر :

ــ لقد علمتنى درسًا ... الانطباعات الأولى ، كثيرا ما تكون خاطئة .

لم يجب الأسمر ، وإنما ناوله هاتفه المحمول ، قائلا :

www.loolpolibrary.com

ــ أظنك ستحتاج إليه .

قبل أن يمد (أسامة) يده ، ليلتقط الهاتف ، تناهى إلى مسامعه صـــوت سيارات قوية تقترب ، فالتفت ليرى سيارتين مدججتين بالجنود ، تنطلقـــان نحوهم مباشرة ...

وفى حزم ، أزاحه الأسمر جانبًا ، وهو يشهر مسدسه ، قائلاً :

ــ سادافع عنكم بحياتى .

ولكن الجنود شهروا مدافعهم الآلية ، وأطلقوا النار...

شاهد الدكتور لويس يســقط ، والممــرض الضــخم ينهار مستسلمًا ، والدكتور وحيد يصاب برصاصة ، والأسمر يتبادل إطلاق النار مع الجنود ، و ...

« حياتك تعقدت بشدة ... »

استقبل عقله تلك الرسالة ، عندما وجد نفسه فجأة داخل تلـــك القاعـــة الواسعة ، فهتف :

ــ الآخرون هناك ... يواجهون الموت .

« ولكنك نجوت ... »

هتف (أسامة) فى مرارة :

ــ لسوء حظى .

« وفقًا للمنطق الطبيعى ، ينبغى أن يكون هذا لحسن حظك ... »

هتف (أسامة) فى غضب :

ــ وماذا عـــن الإنسانية ، والكرامة والشهامة ؟!... هل أنج بنفـــسى ، وأتركهم يواجهون الموت من أجلى ؟!... كيف سأحيا بهذه الفكرة البشعة ؟!

« ليست هناك ضرورة لأن تحيا بها على الإطلاق ... »

حدّق (أسامة) فيه ، متسائلاً فى عصبية :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!

« يعنى أنك قـــد حصـــلت على امتيـــاز خاص ؛ لقبـــولك خوض هـــذه التجربة ... »

هتف (أسامة) فيه ، متسائلاً فى عصبية :

ــ لم يطلب أحد موافقتى قط .

تتابعت الرسالة العقلية ، وكأن تعليقه لم يكن ...

« يمكنك اختيار الحياة التى تريدها ، وسيتم نقل إدراكك إليها ، على نحو دائم ... »

ــ أى قول هذا ؟!

تواصلت الرسالة العقلية ، متجاهلة تعليقه للمرة الثانية ...

Looloo
www.looloolibrary.com

« سيتم نقل إدراكك إلى كون مواز ، وعند عودتك من هذه المنطقـــة ، التى تتوسط الأكوان السبعة ، ستصبح الدكتور (أسامة عزت) ، صـــاحب مركز (أسامة) الطبى ، المتزوج من جارته الرقيقة (ياسمين) ، ويمتلك عيادة على نيل (القاهرة) ، يشاركه فيها زميل عمره الدكتور (عادل) ، ووالدته سليمة معافية ، و .... »

قاطعه (أسامة) فى حدة :

ــ وهل تصوَّرت أن أقبل هذا ؟!

« المنطق يقول : إنها فرصة العمر ... كل مشاكلك ســيتم تجاوزهـــا ، وكل أحلامك ستتحقق فى لحظة واحدة .... »

ــ منطق الآلة المجردة من المشاعر فحـــسب ... كيـــف أتهـــرب مـــن مسئولياتى ، أمام الله سبحانه وتعالى ، وأمـــام ضـــميرى ؛ للفـــرار مـــن مسئوليات قرارات اتخذتها بإرادتى ؟!... كلا يا هذا ... لست ذلك الرجل ، الذى يفر من مسئولياته ، بهذه الأنانية البغيضة .

« إذن فقـــد قررت أن تبقى ، على الرغـــم مـــن كـــل ما تعـــانيه فـــى كونك ... »

قال (أسامة) فى حزم :

ــ ما أعانيه نتاج قرارات اتخذتها ، وليس من الـــشهامة أن أفـــر مـــن مسئولياتها وتبعاتها .

« أهذا قرار نهائى ؟!... »

شد (أسامة) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ــ بكل تأكيد .

« ألـــن تشـــعر بالنـــدم ؟!... هـــذه الفرصـــة متـــاحة لمـــرة واحـــدة فقط ... »

هزَّ (أسامة) رأسه :

ــ ومن ذا الذى يندم على قرار يريح ضميره ؟!

ثم حمل صوته حزنًا عميقًا ، وهو يضيف :

ــ ولكن ما الفائدة ؟!... الآخرون سيدفعون ثمن تجربتى أنا .

« ليس بالضرورة ... »

رفع (أسامة) عينيه إليه فى دهشة وتساؤل ...

« دراستنا للأكوان المتوازية ، منحتنا الكثير من المعرفة ، حول الزمان والمكان ، والتعامل معهما ، كما سبق أن أخبرتك ... »

تساءل (أسامة) فى توتر :

ــ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

« دكتور (أسامة) ... أأنت بخير ؟!... »

Looloo
www.looloolibrary.com

سمع صوت الممرضة (نوال) ، وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، ففتح عينيه فى بطء ، ليراها منحنية فوقه ، ومعها الدكتور (عـــادل) ، الـــذى هتف فى انفعال :

ــ لقد استعدت وعيك ... حمدًا لله .

أدار عينيه فيما حوله فى دهشة ، ورأى نفسه داخل عيادتـــه القديمـــة البسيطة ، فغمغم فى تهالك :

ــ أين أنا ؟!

أجابته (نوال) ، وهى تكاد تبكى :

ــ فى المركز الطبى يا دكتـــور (أســـامة) ... تلك الصاعقة صدمتك ، ففقدت الوعى .

غمغم ، وهو يحاول النهوض :

ــ صاعقة ؟!

مدَّ الدكتور (عادل) يده إليه ، يعاونه على النهوض ، وهو يقول :

ــ كرة برق يا دكتور (أسامة) ... ظاهرة طبيعية ، قرأت عنها الكثير ، ولكنها أول مرة أختبرها ... إنها تنشأ عن تفريغ كهربى هـــوائى ، خـــلال العواصف حسبما أذكر(*) .

(*) حقيقة علمية .

أكملت (نوال) فى توتر :

ــ كنت تقف مع ذلك الزائر الشاحب ، عندما سمعنا القرقعة .

اتسعت عيناه ، وهو يقول :

ــ الزائر ؟!... هل تذكرينه ؟!

أجابته بكل الدهشة :

ــ بالطبع يا دكتور (أسامة) ... هذا كان منذ دقائق فحسب .

تلفَّت حوله فى انفعال ، وهو يتساءل :

ــ وأين هو ؟!.... أين ذهب ؟!

أجابه (عادل) ، وهو يشعر بالحيرة لموقفه :

ــ لقد انصرف ، عندما فقدت الوعى ، وترك لك ذلـــك الـــدواء ، الـــذى طلبته منه ، وأحضره من الخارج .

انعقد حاجبا (أسامة) ، وهو يقول فى توتر :

ــ دواء ؟!... أى دواء ؟!

تبادل (عـــادل) و(نوال) نظـــرة مشفقة ، ثم ناوله (عادل) لفافـــة صغيرة ، وهو يقول :

ــ ها هـــو ذا ... قـــال إنه لوالدتك ، شفاها الله ــ سبحانه وتعـــالى ــ وعافاها .

Looloo
www.looloolibrary.com

فض (أسامة) اللفافة فى سرعة ، ووجد داخلها علبة تحتـــوى قنينـــة صغيرة ، بها سائل أرجوانى شفاف ، ومعها ورقة تقول :

ــ حقنة واحدة ، ستعيد كل شىء ، إلى ما كان عليه ... مع تحياتنا ... »

خفق قلب (أسامة) فى قوة ، وراح عقله المشتعل يتساءل ، وهو يلقى نظرة على النتيجة الورقية ، المعلقة على الجدار ، والتى تشير إلى أنه لـــم يتحرك من مكانه قط :

هل حدث ما حدث فعلاً ، أم أنها الصدمة ؟!

هل ؟!

« اختار تحمل نتائج مسئولياته ؟!... »

وقف الشاحب أمام شخص غارق فى الظل ، وهو يجيب ، عبر الاتصال العقلى ...

« ودون أدنى تردد ... »

« عظيم ... إنه يستحق المنصب المرشح له بالفعل ... سأرسل تقريرى إلى المجلس فورًا ؛ فآخر موعد هو نهاية ٢٠٣٠م ... »

« بهذا تكون مهمتى قد انتهت يا سيدى ... »

« يمكنك إنهاء برنامجك ، والعودة إلى حالة التخزين يا (ص-761) ، حتى تحين مهمتك التالية .... »

« (أسامة) ... أين ذهبت ؟!... »

سمع صوت أمه ، ينتزعه من أفكاره ، فابتسم وهو يتطلع إليها ، وقـــد استعادت حيويتها ، عقب حقنها بذلك العقار الأرجوانى ، وغمغم :

ــ استرجع بعض الأمور فحسب يا أمى .

مالت عليه ، هامسة :

ــ الليلة حفل خطبتك على (ياسمين) ، فلا تفسدها بالتفكير فى غيرها ... إنه اليوم الذى حلمت به طيلة عمرى .

ربَّت على كتفها فى سعادة ، ونقل بصره إلى الدكتور (عادل) و(نوال) والدكتور (وفيق) ، وقد راح الأخير يختلس النظر إلى أمه فى حب واضح ، ثم شعر بحبيبة عمره (ياسمين) تمسك أصابعه ، هامسة فى سعادة :

ــ أأنت سعيد يا حبيبى ؟!

أمسك كفها الرقيقة فى حب ، وهو يهمس :

ــ أكثر سعادة مما تتصورين يا حبيبتى .

قالها ، وعيناه تتطلعان إلى ثلاثة رجال ، جمعتهم مائدة واحـــدة ، فـــى القاعة التى يقيم فيها حفل خطبته ، وقد راحوا يتناقشون حول سبب دعوته لهم إلى حفلة خطبته ، وإصراره على حضورهم ، علـــى الـــرغم مـــن أن أحدهم لم يلتق به من قبل قط ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ذلك الأسمر ...

والدكتور (لويس) ...

والدكتور (وحيد) ...

وابتسم فى ارتياح ، عندما شاهد الدكتور (عادل) يتجه نحو ماندتهم ؛ للترحيب بهم ، وليروى لهم قصة الظاهرة العجيبة ، التى حدثت فى المركز الطبى ...

ظاهرة الصدمة .

* * *

تمت بحمد الله

عزيزى القارئ

(وداعًا)

أصدقائى ...

أصدقاء الورق ...

عندما نشأت سلسلة (كوكتيل 2000) ، فى النصف الثانى من ثمانينات القرن العشرين ، كانت إصدارة جديدة متميزة ، بالنسبة لزمن صدورها ، وعبر سنوات اقتربت من الثلاثين ، قدمت الكثير لشباب هذا الجيل ، وحافظت على انفرادها وتميزها ، على الرغم من محاولات منافستها العديدة ...

فى تلك الفترة كنا ، وكان العالم كله ، ينتظر فى شغف قدوم عام 2000م ، متصورًا أنه سيكون بداية ثورة جديدة ، فى كل المجالات ، ولقد بدا لنا ، حينذاك ، بعيدًا للغاية ، حتى أننا كنا نتحدَّث عنه باعتباره المستقبل ، الذى يطلق لخيالنا كل عنان ...

أذكر أننى ، فى تلك الفترة ، شاهدت الجزء الثانى من رائعة (جورج زايمكس) ذات الثلاثة أجزاء (العودة إلى المستقبل) ، وفيه سافر (مارتى) مع دكتور (براون) إلى الحادى والعشرين من أكتوبر ، عام 2015م ، وهناك رسم المخرج صورة حالمة لتلك الفترة ، التى سنصل إليها ، أو وصلنا بالفعل ، تبعًا للحظة صدور هذا العمل ...

كل العالم كان يرسم خيالاً جامحًا لعام 2015م ، وكنا ضمن هذا العالم ...

www.looloolibrary.com

وعبر أعداد (كوكتيل 2000) ، أبحرنا معًا فى الخيال ، ورسمنا العديد من الصور للمستقبل والحاضر ... وأحيانًا للماضى ...

صحيح أننا نحيا اليوم فى تكنولوجيا ، كانت بالأمس خيالاً ، وصارت بين أيدينا الآن واقعًا ، إلا أن الواقع لم يبلغ بعد ما بلغه الخيال ...

(كوكتيل 2000) كانت مناسبة تمامًا لزمنها ، وعلى الرغم من أن إصدار العدد الواحد منها كان يستهلك الكثير من الوقت والجهد ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ، إلا أنها لم تعد تناسب هذا الزمن وإيقاعه ، والأيديولوجيات السائدة فيه ، ولا حتى أنماط النشر الحالية ...

ولهذا فقد رأيت أن السلسلة ، على الرغم من نجاحاتها حتى اليوم ، قد استنفدت الغرض من وجودها ، وأننا قد تجاوزنا عام 2000 بكثير ، دون أن يبلغ خيالنا منتهاه ...

ولهذا فقد حان الوقت لتوقفها ، فى ذروة نجاحها ؛ حتى تظل مرتبطة بالنجاح ، تاريخيًا ووجدانيًا وزمنيًا ...

ولأنه لا أحد يمكنه أن يضمن حياته أو موته ، فلست أستطيع أن أعد اليوم بأنه ستصدر سلسلة جديدة تحل محلها ...

ليس بقلمى على الأقل ...

ولكن هذا لا يعنى أن سلسلة جديدة لن تنشأ ...

أو أنها ستنشأ ...

فلنترك هذا للزمن ، ولقريحة الذهن أيضًا ...

وحتى ذلك الحين ، دعونى أقر بأن التواصل معكم ، عبر (كوكتيل 2000) ، كان شرفًا أفخر به ، وزمن سيزهو أبنائى به من بعدى ...

وفى آخر صفحات آخر عدد ، من كوكتيل 2000 ، لا أملك سوى أن أقول لكم كلمة واحدة ، أشارككم بها كل مشاعرى ، وأنا أنهى مشوار ثلاثة عقود ...

وداعًا يا أصدقاء الورق والقلم ....

وداعًا .

د . نبيل فاروق

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية للجيب

باقة من القصص والروايات المصرية
قمـــة فى التشـــويق والإثـــارة

1 ــ النبـــوءة .
2 ــ سيف العدالة .
3 ــ البديل .
4 ــ بدويـــة .
5 ــ لعنة البحر .
6 ــ المنـــدوب .
7 ــ سر القصر .
8 ــ تحقيـــق .
9 ــ الزائر الغامض .
10 ــ الفـــارس .
11 ــ ثمن الصداقة .
12 ــ العنقاء .
13 ــ جزيرة القدر .
14 ــ نـــداء الأعماق .
15 ــ التجربة الرهيبة .
16 ــ المهمـــــة .
17 ــ الشـــىء .
18 ــ البعد الخامس .
19 ــ ضيف النجوم .
20 ــ البعث .
21 ــ صانع اللعب .
22 ــ الكوكب العاشر .
23 ــ آلـــة الزمـــن .
24 ــ اللغـــز .
25 ــ أوراق بطل .
26 ــ الملحمـــة .
27 ــ الوريث .
28 ــ قلعة الأسرار .
29 ــ عملية الأستاذ .
30 ــ قـــارون .
31 ــ الـــدم .
32 ــ النـــداء .
33 ــ الجرثومة .
34 ــ رؤيـــا .
35 ــ الغريـــب .
36 ــ السلسلة الوحشية .
37 ــ الرحـــلة .
38 ــ قلب البحر .
39 ــ الأميـــر .
40 ــ المتحورون .
41 ــ فـــارس المستقبل .
42 ــ الغـــامض .
43 ــ ذلك اليوم .
44 ــ الزهرة القرمزية .
45 ــ جريمة رقمية .
46 ــ القـــادم .
47 ــ ذاكـــرة الغـــد .
48 ــ النجـــم .
49 ــ جدى الحبيب .
50 ــ الهدف أنت .
عدد خاص الصدمة

رقم الإيداع : 23747
977 - 378 - 243 - 3

روايات مصرية

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

ـ حل ثلاثة عقود 5

ـ بطولة لا تنسوها (تاريخ) 10

• كوكتيل ٢٠٠٠ عدد خاص بمناسبة العيد الثلاثين لروايات مصرية :

ـ الستار الأسود 15

ـ شروق 150

• كتاب خاص بمناسبة العيد الثلاثين لروايات مصرية

ـ قصة العدد : صدمة 159

Looloo

Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo, o=www.looloolibrary.com, ou, email=looloo@looloolibrary.com, c=EG
Date: ٢٠١٦.٠٢.١٢ ١٥:٣٨:٤١ +٠٢'٠٠'

العربية الحديثة